"تثبيت فؤاد النبي- صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم" "دراسة موضوعية"

إعداد

أحمد علي عبد العليم علي

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة

"تثبيت فؤاد النبي – صلى الله عليه وسلم– في القرآن الكريم" "دراسة موضوعية"

أحمد علي عبد العليم علي

قسم التفسير وعلوم القرآن– كلية البنات الأزهرية بالمنيا الجديدة – جامعة الأزهر– مصر

البريد الإلكتروني: Ahmedali4819@azhar.edu.eg

الملخص:

يدور البحث حول الآيات القرآنية التي جاءت لتثبيت فؤاد النبي–ﷺ– حتى نعلم المواقف الصعبة التي تعرض لها نبينا–ﷺ– في طريق الدعوة إلى الله – تعالى– وكيف ثبت ربُه فؤادَه – ﷺ – فنتأسى به–ﷺ– فما أحوج أهل الإسلام عامة وأهل العلم والدعوة خاصة للاقتداء به – ﷺ– في كل عصر ومصر، فيجب علينا أن تكون سيرته هدينا وطريقنا؛ ففي اتباعها الخير كله في الدنيا والآخرة. **هذا، وسلك** الباحث في بحثه المنهج المتبع في التفسير الموضوعي، فبين في مقدمة بحثه أسباب اختياره للموضوع وخطة البحث والهدف منه، وذكر في التمهيد التعريف بأهم المصطلحات التي جاءت في عنوان البحث، ووضح الباحث في **المبحث الأول:** تنزلات القرآن والحِكَم التي من أجلها نزل القرآن مفرقا، ثم ذكر في **المبحث الثاني:** الآيات القرآنية التي نزلت لتثبيت فؤاد النبي –ﷺ – وقسم هذه الآيات إلى أقسام ثلاثة، **القسم الأول:** ذكر فيه الآيات التي نزلت لتثبيته–ﷺ– عن طريق دعوته إلى الصبر، **ووضح في القسم الثاني:** الآيات التي نزلت لتثبيته–ﷺ– عن طريق تسليته بقصص السابقين، **وبين في القسم الثالث:** الآيات التي نزلت لتثبيته–ﷺ– عن طريق وعيد المكذبين له، ثم ذكر في آخر **المبحث الثاني** اللطائف المستفادة من آيات الأقسام الثلاثة كلها، ثم بين في **خاتمة البحث** أهم النتائج والتوصيات ثم ذيل البحث بقائمة المصادر والمراجع. والحمد لله رب العالمين.

الكلمات المفتاحية: تثبيت – فؤاد– النبي– القرآن– الصبر– التسلية– السابقين.

Reassuring the heart of the prophet Muhammad PBUH in the Quran, an objective study.

Ahmad Ali Abdel Aleem Ali

Department of Tafseer(Quran interpretation) and Quran scienses, Al Minia Azhar girls college, Al Azhar university, Egypt.

Email: Ahmedali4819@azhar.edu.eg

Abstract:

The research revolves around the Quranic verses that were revealed to reassure the heart of the prophet Muhammad PBUH. It is also for us to know the trials and the difficulties that the prophet PBUH went through during his journey to convey the message of Allah SWT. If we realize that, we will follow his guidance and way as we are in dire need as Muslims in general and scholars in particular to follow his guidance everywhere and every time. We should study his biography (seerah) and take it as our path and guidance. All goodness is in following the prophetic way (Sunnah). The researcher used the thematic way in interpreting the Quran in his research. In the beginning of the research he explained why he chose that topic, the research plan and goals. In the preface, he defined the most important terms used in the research. The researcher in the first chapter talked about the revelation of the Quranic verses and the wisdom behind sending down the Quran in pieces. In the second chapter he spoke about the Quranic verses that were revealed to reassure the heart of the prophet Muhammad PBUH. He classified these verses into three classifications. In the first classification, he mentioned the verses that talk about Sabr, (patience). In the second classification, he related the verses that talk about the stories of the prophets and previous nations, and how these verses strengthened the heart of the prophet Muhammad PBUH.

In the third classification he mentioned the verses that talk about the punishment for those who denied him PBUH. In the third chapter he mentioned the lessons we learn from all these verses. In the end of the research he mentioned the important results and recommendations. The researcher concluded the research by mentioning the references he used. All praise is due to Allah, the lord of the worlds.

keywords: Quran- Reassuring - The Prophet's Heart – Patience – Strengthening - And The Previous Nations.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،

فإن النبي –ﷺ– تحمل ما تحمل، ولاقى ما لاقى، في سبيل نشر هذا الدين، أوذي –ﷺ– في نفسه وأهله وعرضه، ومع هذا صبر رسول الله–ﷺ– فأيده ربه وثبته وطمأن قلبه، وأنزل السكينة عليه، فأنزل الله عز وجل– آيات كثيرات في القرآن لهذه الحكمة الجليلة (تثبيت فؤاد النبي –ﷺ–) ، بل كانت هذه الحكمة من أعظم الحكم التي من أجلها أنزل القرآن منجما عليه–ﷺ– فخطر في قلبي أن أجمع هذه الآيات التي أنزلت لهذه الحكمة، ألا وهي تثبيت فؤاده–ﷺ– ؛ ليقتدي أهل الإسلام عامة وأهل العلم والدعوة خاصة في كل زمان ومكان بالنبي العدنان – ﷺ – ؛ لأنه يجب علينا أن تكون سيرته هدينا وطريقنا؛ ففي اتباعها الخير كله في الدنيا والآخرة.

فجمعت هذه الآيات في بحث بعنوان :

"تثبيت فؤاد النبي – صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم"

"دراسة موضوعية"

أسباب اختياري لهذا الموضوع

قد كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع بعد توفيق الله – عز وجل– وإرادته ما يلي :

الأول : رغبتي الصادقة في الإسهام في خدمة كتاب الله– تعالى– والقيام ببعض الواجب نحو هذا الكتاب الكريم الذى يحمل في آياته الدعوة إلى الحق والخير، ويحقق السعادة للناس في دنياهم وأخراهم.

الثاني : أهمية الكتابة في التفسير الموضوعي؛ حيث إنه يعالج كثيرا من القضايا المعاصرة معالجة قرآنية ربانية مأمونة النتائج والآثار.

الثالث: ندرة الكتابة المستقلة في هذا الموضوع الذي يتحدث عن تثبيت ربنا- عز وجل- لنبينا- ﷺ -.

الهدف من البحث في هذا الموضوع

التأسي بالنبي- ﷺ- والاقتداء به في عقيدته، في عباداته، في أخلاقه، في معاملاته مع الناس، فما أحوج أهل الإسلام عامة وأهل العلم والدعوة خاصة للاقتداء به – ﷺ- في كل عصر ومصر.

اللهم ارزقنا حسن الاقتداء به- ﷺ- والسير على سنته ونهجه، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

الدراسات السابقة

بعد البحث والاستقراء لما ألف حول موضوع تثبيت فؤاد النبي- ﷺ – في القرآن الكريم لم أقف على مؤلف ولا بحث بهذا الاسم، ولكن مما هو معلوم أن تثبيت فؤاد النبي-ﷺ- من الحكم التي من أجلها نزل القرآن مفرقا ؛ لذلك تعرضت كتب علوم القرآن لهذه الحكمة تعرضا إجماليا، وأيضا وقفت على مؤلفين لهما بعض الصلة بموضوعي على الرغم من اختلاف العنوان والمنهج وطريقة العرض.

الأول: منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول-ﷺ- وتكريمه/ للدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار صالح هوساوي، ط: دار الذخائر- الطبعة الأولى- ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م (المملكة العربية السعودية)- أصل الكتاب رسالة ماجستير للباحث.

وسلك الباحث في مؤلفه المنهج التحليلي للنص القرآني – في الغالب- كما ذكر في مقدمة كتابه. وجاءت رسالته في ثلاثة محاور، الأول: تثبيت الرسول -ﷺ- من خلال قصص النبيين والأمم السابقة، الثاني: إنزال القرآن الكريم على الرسول-ﷺ- منجما وأثر ذلك في تثبيته وتكريمه،

الثالث: إظهار القرآن الكريم مكانة النبي–ﷺ– وأثر ذلك في تثبيته وتكريمه.

أما بحثي هذا: فسلكت فيه المنهج المتبع في التفسير الموضوعي، فطريقتي تباين طريقته؛ فطريقتي في التفسير الموضوعي، وطريقته في التفسير التحليلي، وكلاهما يهدفان إلى الاقتداء بالنبي العدنان – ﷺ–.

الثاني: دور القصص القرآني في تثبيت قلب النبي– ﷺ – (دراسة موضوعية) مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية – تخصص: التفسير وعلوم القرآن/ للباحثة منى كيرد، قسم أصول الدين– معهد العلوم الإسلامية– جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي(الجزائر) السنة الجامعية (١٤٣٧هـ–١٤٣٨هـ) (٢٠١٦م–٢٠١٧م). وهذه الدراسة تقوم على دراسة القصة القرآنية وبيان منهجها في تثبيت قلب النبي – ﷺ – .

وذكرت الباحثة أن القصص التي ثبتت قلب النبي – ﷺ – أحد نوعين، **الأول:** قصص الأنبياء كنوح ويوسف وأيوب – عليهم السلام– **الثاني:** قصص لغير الأنبياء من أفراد صالحين، وأقوام، وأصحاب... ثم ذكرت أنها استخرجت الفوائد والدروس المستنبطة من هذه القصص ودورها في تثبيت قلب النبي – ﷺ –.

ويظهر من خلال عنوان هذه الدراسة أنها اهتمت بالقصص القرآني ودوره ، وهذا لا شك يختلف عن موضوع دراستي ومنهجي وطريقتي في عرض المادة العلمية، وإن كان الهدف منهما هو الاقتداء بالنبي – ﷺ –.

هذا مجمل ما وقفت عليه من دراسات سابقة في موضوع البحث، وبحثي هذا امتداد لها.

خطة البحث:

سيأتي بحثي هذا في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع.

أما المقدمة: فسأذكر فيها الأسباب التي دفعتني إلى الكتابة في هذا الموضوع والهدف منه والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهجي فيه.

وأما التمهيد: فسأذكر فيه الحديث عن بعض المصطلحات: تثبيت ومشتقاتها في القرآن – الفؤاد والقلب – القرآن– التفسير الموضوعي وأهميته.

أما المبحث الأول:

فسأجعله بعنوان "حِكَم نزول القرآن مفرقا "، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تنزلات القرآن.

المطلب الثاني: حكم نزول القرآن مفرقا إجمالا.

وأما المبحث الثاني:

فسيكون بعنوان " تثبيت فؤاد النبي – ﷺ– وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: آيات نزلت لتثبيت فؤاده – ﷺ – عن طريق دعوته إلى الصبر.

المطلب الثاني: آيات نزلت لتثبيت فؤاده –ﷺ– عن طريق تسليته بقصص السابقين.

المطلب الثالث: آيات نزلت لتثبيت فؤاده –ﷺ– عن طريق وعيد المكذبين له.

المطلب الرابع: اللطائف المستفادة من هذه الآيات.

وأما الخاتمة: فسأذكر فيها أهم النتائج والتوصيات، ثم أذيل البحث بقائمة المصادر والمراجع.

منهجي في هذا البحث:

ألتزم في جمع ودراسة هذا الموضوع بالمنهج الاستقرائي التام[1]، ثم الاستنباطي[2]؛ حيث أقوم بتتبع الآيات القرآنية التي جاءت لتثبيت فؤاد النبي–ﷺ– فأجمعها، ثم أستنبط منها الفوائد واللطائف التي تساعدنا في علاج بعض مشكلات الواقع المعاصر بالقرآن الكريم؛ حيث إن القرآن الكريم مصلح لكل زمان ومكان.

وسيكون عملي، ومنهجي كما يلي:

- أقوم بجمع الآيات القرآنية التي جاءت لتثبيت فؤاد النبي–ﷺ– وأستخرج منها الهدايات القرآنية التي تفيد البشرية، وخاصة الأمة المحمدية.

---

(١) – **المنهج الاستقرائي:** هو ما يقوم على التتبع لأمور جزئية مستعانًا على ذلك بالملاحظة والتجربة وافتراض الفروض؛ لاستنتاج أحكام عامة منها. **ومنهج الاستقراء نوعان، أولًا: منهج الاستقراء التام**، وهو ما يقوم على حصر جميع الجزيئات للمسألة التي هي موضوع البحث، والتتبع لما يعرض لها، مع الاستعانة بالملاحظة في جميع جزيئات المسألة.

ثانيًا: منهج الاستقراء الناقص: وهو ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزيئات المسألة وإجراء الدراسة عليها، بالتتبع لما يعرض لها، والاستعانة بالملاحظة في هذه الجزئيات المختارة، وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزيئات المسألة التي لم تدخل تحت الدراسة.

ينظر: البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته/ للدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن علي الربيعة– الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– صـ/ ١٧٨– ١٧٩– الطبعة الثالثة– ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) – **المنهج الاستنباطي:** هو استنتاج قضية مجهولة من قضية أو من عدة قضايا معلومة، أو هو التوصل إلى حكم تصديقي مجهول بملاحظة حكم تصديقي معلوم، أو بملاحظة حكمين فأكثر من الأحكام التصديقية المعلومة، فهو إذا عملية عقلية منطقية، ينتقل فيها الباحث من قضية أو عدة قضايا إلى قضية أخرى تستخلص منها مباشرة دون اللجوء إلى التجربة.

ينظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة / للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، صـ: ١٤٩. بتصرف– ط: دار القلم – دمشق – ت: حسين مؤنس ، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، والبحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه النظرية رؤية إسلامية/ للأستاذ الدكتور سعد الدين السيد صالح، صـ/ ٤٠. بتصرف– ط: مكتبة الصحابة– جدة– ومكتبة التابعين– القاهرة، الطبعة الثانية– ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

وطريقتي في عمل البحث ستكون كالتالي:

- أذكر الآية القرآنية بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين مشيرًا إلى اسم السورة التي وردت فيها، ورقم الآية في أسفل الصفحة.
- أبين المعنى الإجمالي للآية مستعينا بكتب التفسير.
- أجمع بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية- قدر طاقتي- لتوضيح المعنى.
- أجمع بين الآيات القرآنية والواقع المعاصر- قدر طاقتي- لمعالجة ما في الواقع من مشكلات بالقرآن الكريم ؛ لأن ذلك من أهداف التفسير الموضوعي.
- أضبط من النص ما يمكن أن يُشكل على الفهم.
- أشرح بعض الألفاظ الغريبة التي تحتاج إلى توضيح وبيان من خلال كتب المعاجم والغريب والشروح.
- أخرج القراءات التي ترد في البحث من كتب القراءات المعتمدة مشيرًا إلى المتواتر منها والشاذ.
- أقوم بذكر طبعات المصادر التي أعتمد عليها عند ذكرها في الحواشي لأول مرة، ولتتمة الفائدة في ذلك فسأذكرها في قائمة المصادر والمراجع.
- أخيرًا: أذكر في الخاتمة بعض النتائج والتوصيات التي أتوصل إليها من خلال بحثي، ثم أذيل البحث بقائمة المصادر والمراجع التي أعتمد عليها في بحثي.

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا له- تعالى- وأن يكتب له القبول، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

وفيه الحديث عن بعض المصطلحات:

أولًا: تثبيت ومشتقاتها في القرآن .

ثانياً: الفؤاد والقلب.

ثالثاً: القرآن.

رابعاً: التفسير الموضوعي وأهميته.

أولًا: تثبيت ومشتقاتها في القرآن

معنى كلمة ثبت في اللغة العربية:

ذكر علماء اللغة أن كلمة " ثبت " تأتي على عدة معان منها الطمأنينة، والسكون، والشدة، والجرح، والحبس. وهذه بعض أقوالهم:

قال الإمام الجوهري– رحمه الله– في الصحاح: ثبت الشيء ثباتا وثبوتا، وأَثْبَتَهُ غيره وثَبَّتَهُ، بمعنىً. ويقال: أَثْبَتَهُ السُقْمُ، إذا لم يفارقه. وقوله تعالى: (لِيُثْبِتوكَ) أي يَجْرَحوكَ جِراحةً لا تقوم معها. وتثَبَّتَ الرجل في الامر، واستثبت بمعنى. ورجل ثَبْتٌ، أي ثابتُ القلب. (١)

ويقول الإمام الفيروز آبادي– رحمه الله– في القاموس المحيط : ثَبَتَ ثَباتاً وثُبوتاً، فهو ثابِتٌ وثَبيتٌ وثَبْتٌ، وأثْبَتَه وثَبَّتَه.

والثَّبيتُ: الفارِسُ الشُّجاعُ، كالثَّبْتِ، وقد ثَبُتَ ككَرُمَ، ثَباتَةً وثُبوتَةً، والثابِتُ العَقْلِ، ومن الخَيلِ: النَّقِفُ في عَدْوِهِ، كالثَّبيتِ. والثِّباتُ، بالكسر: شِبامُ البُرْقُع، وسَيْرٌ يُشَدُّ به الرَّحْلُ.

والمُثْبَتُ، كمُكْرَمٍ: الرَّحْلُ المَشْدود به، ومَنْ لا حَراكَ به منَ المَرَضِ، وبكسر الباءِ: الذي ثَقُل فلم يَبْرَحِ الفراشَ.

(١)– ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، ٢٤٤/١-٢٤٥،ط: دار العلم للملايين – بيروت- الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م. ت: أحمد عبد الغفور عطار.

وداءٌ ثُباتٌ، بالضم: مُعْجِزٌ عن الحَركةِ.

وثابَتَه وأثْبَتَه: عَرَفَه حقَّ المَعْرِفَةِ.

وإثْبِيتُ، كإزْميلٍ: أرضٌ، أو ماءٌ لِبَنِي يَرْبوعٍ، أو لبني المُحِلِّ بنِ جعفرٍ.

وثابتٌ وثَبِيتٌ: اسْمانِ. وقولُه- تعالى-: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي: ليَجْرَحوكَ جِراحةً لا تَقُومُ معها، أو ليَحْبسوكَ. والأَثْباتُ: الثِّقاتُ. واسْتَثْبَتَ: تأنَّى. (١)

وذكر الدكتور محمد حسن جبل عند حديثه عن معاني الثبات ما يلي:

واستعمل في الثبات النفسي وما هو من بابه: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ (٢) بمعنى تسكين القلب.(٣).

وخلاصة ما سبق: أن كلمة(تثبيت) بمشتقاتها تأتي بمعان كثيرة، منها أنها تأتي بمعنى (تسكين القلب وتقويته وطمأنينته).

<u>وجوه ونظائر كلمة(ث ب ت) في القرآن الكريم</u>

وردت كلمة (ث ب ت) في القرآن الكريم على خمسة أوجه: البشارة- الثبات على شهادة أن لا إله إلا الله والتلقين – الجماعات – الحبس- الثبات بعينه.

الوجه الأول: الثبات: بمعنى البشارة.

قال- تعالى- في سورة الأنفال:﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (٤) بمعنى: بشروهم. ويقال: انصروهم.

---

(١)- ينظر: القاموس المحيط: للإمام / مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، صـ/١٤٩، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان- الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م- ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي.

(٢)- سورة الفرقان: من الآية(٣٢).

(٣)- ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)/ للدكتور محمد حسن حسن جبل،١/٢٣٠، ط: مكتبة الآداب – القاهرة- الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

(٤)- سورة الأنفال: من الآية (١٢).

الوجه الثاني: الثبات على شهادة أن لا إله إلا الله، وتلقينها.

قال –عز وجل– في سورة إبراهيم :﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[1].

الوجه الثالث: الثُّبَاتُ– بضم الثاء– : بمعنى الجماعات.

قال – سبحانه– في سورة النساء :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[2].

الوجه الرابع: الإثبات: بمعنى الحبس.

قال– تعالى– في سورة الأنفال :﴿ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾[3] يعني: ليحبسوك.

الوجه الخامس: الثبَات بعينه، كالتثبت.

قال– عز وجل– في سورة الأنفال :﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾[4] يعني: ويشد. ونحوه في سورة الحجرات:﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ ﴾[5]على قراءة ﴿فتثبّتوا﴾[6][7].

(١)– سورة إبراهيم: من الآية (٢٧).
(٢)– سورة النساء: من الآية (٧١).
(٣)– سورة الأنفال: من الآية (٣٠).
(٤)– سورة الأنفال: من الآية (١١).
(٥)– سورة الحجرات: من الآية (٦).
(٦)– قرأ الأخوان وخلف بتاء مثلثة فوقية مفتوحة بعد التاء وبعدها باء موحدة مفتوحة مشددة وبعدها تاء مثناة فوقية مضمومة﴿فتثبّتوا﴾. والباقون بباء موحدة مفتوحة بعد التاء وبعدها ياء مثناة تحتية مفتوحة مشددة، وبعدها نون مضمومة﴿فتبيّنوا﴾ . ينظر: البدور الزاهرة: صـ/٣٠١، والمبسوط في القراءات العشر: صـ/١٨٠.
(٧)– ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر: صـ/٩١ . بتصرف يسير.

ثانياً: الفؤاد والقلب

ذكر علماء اللغة أقوالا كثيرة في المراد بالفؤاد والقلب، و أشهر هذه الأقوال أن القلب هو الفؤاد، وهذه طائفة من أقوال أئمة اللغة:

قال الإمام أبو البقاء- رحمه الله -: الْفُؤَاد: الْقلب، وَقيل بَاطِن الْقلب، وَقيل: هُوَ غشاء الْقلب، وَالْقلب حبته وسويداه يُؤَيّدهُ قَوْله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام: " أَلين قلوبا وارق افئدة "[(١)] والفؤاد الرَّقِيق تسرع إمالته، وَالْقلب الغليظ القاسي لَا ينفعل لشَيْء [(٢)].

وجاء في معجم متن اللغة: الفؤاد: القلب لتفؤده وتوقده، أو لحركته ونبضه "مذكر"، أو هو وسط القلب، أو غشاؤه، أو وعاؤه، أو داخله، أو ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب، فيكون أعم من القلب. جمعه: أفئدة. "والفؤاد لغة فيه غريبة منكرة".[(٣)].

ويقول الإمام الخطابي- رحمه الله - : وصف الأفئدة بالرقة والقلوب باللين؛ لِأَن الْفُؤَاد غشاء الْقلب إِذا رق نفذ القَوْل فِيهِ وخلص إِلَى مَا وَرَاءه، وَإِذا غلظ تعذر وُصُوله إِلَى دَاخله، فَإِذا صَادف الْقلب شَيْئا علق بِهِ، أَي: إِذا كَانَ

---

(١)- هذا جزء من حديث أخرجه الامام البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ -: «أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالوَقَارُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ» صحيح البخاري- كتاب: المغازي- باب: قُدُومِ الأَشْعَرِيِّينَ وَأَهْلِ اليَمَنِ-٥/١٧٣،ح(٤٣٨٨) وأخرجه الإمام مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- ﷺ -: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَلْيَنُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، رَأْسُ الْكُفْرِ قِبَلَ الْمَشْرِقِ» صحيح مسلم- كتاب :الإيمان- باب: تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ، وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ-١/٧٣،ح(٥٢).

(٢)- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)،صـ/٦٩٦، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت- ت: عدنان درويش – محمد المصري.

(٣)- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)/ لأحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)،٤/٣٤٨

ط: دار مكتبة الحياة – بيروت.

لينًا، وَالْمَشْهُور أَن الْفُؤَاد هُوَ الْقلب، فعلى هَذَا تكْرَار لفظ الْقلب بلفظين أولى من تكرره بِلَفْظ وَاحِد، وَقيل: الْفُؤَاد غير الْقلب وَهُوَ عين الْقلب، وَقيل: بَاطِن الْقلب، وَقيل: غشاء الْقلب. (١).

وعلى كل فإما أن يكون القلب هو الفؤاد، أو يكون القلب العضو والفؤاد إدراكه، أو يكون القلب داخل الفؤاد... فالخلاصة أن الفؤاد هو العضو الأهم في البنيان البشري فإذا ثبته الله ثبتت بقية الجوارح والله أعلم.

ثالثاً: القرآن

القرآن لغة

هذا اللفظ مصدر لـ (قرأ) يقرأ قراءة وقرآناً.

قال الإمام أبو الفتح المطرزي– رحمه الله –: (قَرَأَ) الْكِتَابَ قِرَاءَةً وَقُرْآنًا وَهُوَ قَارِئٌ وَهُمْ قُرَّاءٌ وَقَرَأَةٌ وَاقْرَأْ سَلَامِي عَلَى فُلَانٍ وَقَوْلُهُمْ أَقْرِئْهُ سَلَامِي عَامِّيٌّ (وَالْقُرْآن) اسْمٌ لِهَذَا الْمَقْرُوءِ وَالْمَجْمُوع بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ عَلَى هَذَا التَّأْلِيف وَهُوَ مُعْجِزٌ بِالِاتِّفَاقِ. (٢).

ويقول الإمام الرازي– رحمه الله –: (قَرَأَ) الْكِتَابَ (قِرَاءَةً) وَ (قُرْآنًا) بِالضَّمِّ. وَ (قَرَأَ) الشَّيْءَ (قُرْآنًا) بِالضَّمِّ أَيْضًا جَمَعَهُ وَضَمَّهُ وَمِنْهُ سُمِّيَ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ السُّوَرَ وَيَضُمُّهَا. وَقَوْلُهُ– تَعَالَى–: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ﴾ (٣).أَيْ: قِرَاءَتَهُ. (٤).

مما سبق يتضح أن كلمة " قرآن " مصدر لـ (قرأ)، وهذا هو القول الراجح كما ذكره الشيخ الزرقاني– رحمه الله– إذ يقول: أما لفظ القرآن: فهو في اللغة مصدر مرادف للقراءة... أما القول بأنه وصف من القرء بمعنى

(١)– ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ للإمام أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، ٣٢/١٨، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٢)– ينظر: المغرب في ترتيب المعرب/ للإمام ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبي الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠هـ)، صـ/ ٣٧٥–٣٧٦، ط: دار الكتاب العربي.

(٣)– سورة القيامة: الآية (١٧).

(٤)– ينظر: مختار الصحاح: صـ/٢٤٩.

الجمع، أو أنه مشتق من القرائن. أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء، أو أنه مرتجل، أي: موضوع من أول الأمر علما على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من أل، فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه ولا يخلو توجيه بعضه من كلفة ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة. (١).

القرآن اصطلاحا:

الكلام المعجز المنزل على النبي- ﷺ - المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.

ورحم الله الشيخ الزرقاني إذ يقول: " وأنت ترى أن هذا التعريف جمع بين الإعجاز والتنزيل على النبي - ﷺ - والكتابة في المصاحف والنقل بالتواتر والتعبد بالتلاوة. وهي الخصائص العظمى التي امتاز بها القرآن الكريم. وإن كان قد امتاز بكثير سواها ". (٢).

وقيل هو: هو كلام الله المنزل على نبيه «محمد»- ﷺ - المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس». (٣).

وهذان التعريفان وإن اختلفا في بعض ألفاظهما ولكن معناهما واحد، وعلى هذا المعنى أكثر العلماء في تعريفهم للقرآن الكريم.

(١)- ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن/ للشيخ محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)،١٤/١. بتصرف. ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- الطبعة: الطبعة الثالثة.

(٢)- ينظر: المصدر السابق:١٩/١.

(٣)- ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم/ للشيخ محمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، صـ/٢١، ط : مكتبه السنة – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

رابعاً: التفسير الموضوعي وأهميته

كثرت الأقوال في تعريف التفسير الموضوعي بناء على اختلاف وجهات النظر بين الباحثين ، فيقال بأن التفسير الموضوعي هو: إفراد الآيات القرآنية التي تعالج موضوعا واحدا وهدفا واحدا، بالدراسة والتفصيل، بعد ضم بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها – دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها، والاستعانة بأسباب النزول، والسنة النبوية، وأقوال السلف الصالح المتعلقة بالموضوع.

ويقال: هو بيان ما يتعلق بموضوع من موضوعات الحياة الفكرية أو الاجتماعية أو الكونية من زاوية قرآنية للخروج بنظرية قرآنية بصدده.

وعرفه بعضهم بقوله: هو جمع الآيات المتفرقة في سورة القرآن المتعلقة بالموضوع الواحد لفظًا أو حكمًا وتفسيرها حسب المقاصد القرآنية.

وقيل: هو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن، الكريم في سورة واحدة أو سورة متعددة.

وقيل: هو علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع.

وقيل: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر.

وقال الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم: ولعل التعريف الأخير هو الأرجح، لخلوه عن التكرار ولإشارته إلى نوعيه الرئيسيين. [1].

(١)– ينظر: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه/ للدكتور أحمد بن عبد الله الزهراني، صـ:١٢، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومباحث في التفسير الموضوعي/ للدكتور مصطفى مسلم، صـ: ١٦، ط: دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

أهمية التفسير الموضوعي

مما لا شك فيه أن التفسير الموضوعي له فوائد كثيرة، وخاصة في أيامنا هذه التي كثرت فيها الأهواء وتعددت فيها الآراء؛ لذلك نحتاج فيها إلى هذا اللون من التفسير؛ لما يحققه ويثمره من فوائد أساسية مهمة يحتاج إليها الفرد والمجتمع، من هذه الفوائد ما يلي:

١-إبراز إعجاز القرآن على وجه يلائم العصر؛ ذلك لأن القرآن إذا كن قد أعجز الأقدمين بلفظه ونظمه وبلاغته فإن الآخرين لا بد لإعجازهم من وجه مستمر المدى، استمرار التحدي، وهذا يتمثل في معاني القرآن وموضوعاته من طريقين: شمول القرآن لكل هذه الموضوعات المتكاثرة، كمال كل موضع منه على حدة، حين نجمعه الآن، ونؤلف منه كيانا واحدا مؤتلفا غير مختلف، وهذا من أعظم وجوه الإعجاز.

٢- أنه تفسير للقرآن بالقرآن، فما أطلق في مكان منه قيد في مكان آخر، وما ذكر موجزا في موطن منه ذكر مفصلا في آخر.

٣- الوقوف على عظمة القرآن الكريم من خلال مواضيعه المتنوعة، والتعرف على تشريعاته النيرة والمتعددة.

٤- بيان ما تضمنه القرآن الكريم من أنواع الهداية الربانية من خلال تلك المواضيع المتنوعة.

٥- التخلق بأخلاق القرآن، والانتفاع به من حيث زيادة الإيمان.

٦- التمكن من فهم القرآن الكريم فهما جيدا.

٧- الاطلاع على أساليب القرآن الكريم المتنوعة.

٨- جمع الآيات المتفرقة في القرآن ذات الموضوع والهدف الواحد في مكان واحد، ثم دراستها دراسة متكاملة.

٩- الرد على أهل الأهواء والشُّبه قديما وحديثا ؛ لكون دراسة مثل هذا النوع من التفسير يجمع شتات الموضوع الواحد ويحيط بجميع أطرافه فيمكن دراسته والرد على الآخرين.

١٠- إزالة ما يوهم التعارض بين آيات القرآن الكريم وتوجيه ذلك توجيها سليما. (١).

من خلال ما تم ذكره يتبين لنا: أن التفسير الموضوعي له أهمية بالغة، وفوائد كثيرة؛ إذ إنه يساعد الباحث في الدراسات القرآنية، والداعي إلى الله – تعالى– في جمع الآيات القرآنية التي تتعلق بالموضوع الواحد، **وكذلك** يُظهِر لونا من ألوان الهدايات القرآنية في العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق وفي كل شيء، فالله– سبحانه وتعالى– يقول عن هداية القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٢).

وكذلك التفسير الموضوعي يضع الحلول المناسبة لكثير من المشكلات المعاصرة النفسية والمادية التي تخص الأفراد والمجتمعات.

(١)- ينظر: المدخل إلى التفسير الموضوعي/ للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، صـ: ٤٠ وما بعدها. بتصرف يسير. ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية، والتفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه: صـ/١٢-١٣. بتصرف يسير.

(٢)- سورة الإسراء: الآية (٩).

المبحث الأول

"حِكَم نزول القرآن مفرقا "

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تنزلات القرآن.

المطلب الثاني: حكم نزول القرآن مفرقا إجمالا.

المطلب الأول: تنزلات القرآن.

نزل القرآن الكريم في تنزلات ثلاثة[1]:

التنزل الأول: نزوله من قبل الله – عز وجل- إلى اللوح المحفوظ.

هذا النزول بكيفية لا يعلمها إلا الله، والدليل على هذا التنزل قوله– تعالى–: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [2].

ومعنى إنزاله في اللوح المحفوظ مجرد إثباته فيه، من غير نظر إلى علو وسفل.

---

(١)– **قال الشيخ أبو شهبة – رحمه الله**–: وللقرآن الكريم وجودات ثلاثة: ١ – وجوده في اللوح المحفوظ.

٢ – وجوده في السماء الدنيا. ٣ – وجوده في الأرض بنزوله على النبي –ﷺ-.

ولم يقترن لفظ «النزول» إلا بالوجود الثاني والثالث، أما الوجود الأول، فلم يرد لفظ «النزول» مقترنا به قط، وعلى هذا: فلا ينبغي أن نسميه نزولا أو تنزلا. **اهـ.**

ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم : صـ/٤٨.

وعلى كل فمن الممكن أن نقول على التنزل الأول: الوجود الأول كما ذكر الشيخ أبو شهبة – رحمه الله– ،**أو نقول:** التنزل الأول كما ذكر الشيخ الزرقاني – رحمه الله– فلا مشاحة في الاصطلاح؛ لأن المراد بتنزله إلى اللوح المحفوظ إثباته فيه وكتابته، **والذي يلزمنا أن نؤمن** به هو أن القرآن الكريم كائن وثابت وموجود في اللوح محفوظ، بكيفية وطريقة لا يعلمها إلا الله– تعالى– وكذلك يجب علينا أن نفوض معرفة حقيقة هذا اللوح إلى علم الله– عز وجل– لأنه من الأمور الغيبية التي لا يعلمها إلا الله – سبحانه وتعالى– وما ذكره بعض العلماء في وصف اللوح لم يرد به حديث ثابت عن رسول الله–ﷺ-.

(٢)– ينظر: دراسات في علوم القرآن/ للشيخ محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، صـ:٢٤، ط: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.

وحكمة هذا النزول: ترجع إلى الحكمة من وجود اللوح نفسه، فإنه السجل الجامع لما كان وما سيكون إلى يوم القيامة. (١).

التنزل الثاني: نزوله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا.

الأدلة على هذه النزول: قوله- تعالى-:﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ (٢).وقوله- سبحانه وتعالى-:﴿حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣).

وقوله- عز وجل-:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ (٤).

قال الإمام المحلي- رحمه الله -:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أَيْ: الْقُرْآن جُمْلَة وَاحِدَة مِنْ اللَّوْح الْمَحْفُوظ إلَى السَّمَاء الدُّنْيَا. (٥).

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: «أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، فكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئا، أوحاه، أو أن يحدث منه في الأرض شيئا أحدثه»(٦).

(١)- سورة البروج: الآيتان (٢١، ٢٢).
(٢)- سورة البقرة: من الآية (١٨٥).
(٣)- سورة الدخان: الآيات (١-٣).
(٤)- سورة القدر: الآية (١).
(٥)- ينظر: تفسير الجلالين/ للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ)، والإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،صـ/٨١٥، ط: دار الحديث – القاهرة- الطبعة: الأولى.
(٦)- أخرجه النسائي في السنن الكبرى-كتاب: فضائل القرآن- باب: كم بين نزول أول القرآن وبين آخره٧/٢٤٧،ح(٧٩٣٦)، وأخرجه الحاكم في المستدرك- كتاب: التفسير-٢/٢٤١،ح(٢٨٧٧)،**وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه "وقال الذهبي: صحيح.**

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما-، قال: «فصل القرآن من الذكر، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل- عليه السلام- ينزله على النبي- ﷺ- ويرتله ترتيلا» (١).

وقال العلامة الزركشي – رحمه الله -: وَاخْتُلِفَ فِي كَيْفِيَّةِ الْإِنْزَالِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

أحدها: أَنَّهُ نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا لَيْلَةَ الْقَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُنَجَّمًا فِي عِشْرِينَ سَنَةً أَوْ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ أَوْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ عَلَى حَسَبِ الِاخْتِلَافِ فِي مُدَّةِ إقَامَتِهِ بِمَكَّةَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ.

وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهُ نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فِي عِشْرِينَ لَيْلَةِ قَدْرٍ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةٍ وَقِيلَ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةِ قَدْرٍ مِنْ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَقِيلَ فِي خَمْسٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةِ قَدْرٍ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مَا يُقَدِّرُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إنْزَالَهُ فِي كُلِّ السَّنَةِ ثُمَّ يَنْزِلُ بَعْدَ ذَلِكَ مُنَجَّمًا فِي جَمِيعِ السَّنَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ –.

وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ: أَنَّهُ ابْتُدِئَ إنْزَالُهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُنَجَّمًا فِي أَوْقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ سَائِرِ الْأَوْقَاتِ.

وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَشْهَرُ وَأَصَحُّ وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْأَكْثَرُونَ، ووافقه الحافظ في الفتح، فقال: وما تقدم من أنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم أنزل بعد ذلك مفرقا هو الصحيح المعتمد. ووافقهما الإمام السيوطي في الإتقان، فقال عن هذا القول: وَهُوَ الْأَصَحُّ الْأَشْهَرُ. (٢)

---

(١)- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير باب: العين- سعيد بن جبير، عن ابن عباس-١٢ /٣٢،ح(١٢٣٨١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك- كتاب: التفسير-٢/٢٤٢،ح(٢٨٨١)،**وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه "وقال الذهبي: صحيح.**

(٢)- ينظر: البرهان في علوم القرآن/ للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)،١/٢٢٨، ط : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه- الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م- ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، وفتح الباري:٩/٤، والإتقان في علوم القرآن/ للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)،١/١٤٦، ط: =

والحكمة من هذا التنزل إلى السماء الدنيا:

اجتهد العلماء في الوصول للحكمة من هذا التنزل، والحقيقة لا يعلمها إلا الله ، ومن هذه الاجتهادات ما يلي:

قال الإمام السخاوي– رحمه الله –: " في نزوله إلى السماء جملة تكريم بني آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم، ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفًا من الملائكة أن تُشَيِّع سورة الأنعام، وزاد– سبحانه– في هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السَّفَرَةِ الكرام، وإنساخهم إياه، وتلاوتهم له، وفيه أيضاً: إعلام عباده من الملائكة، وغيرهم أنه علام الغيوب، لا يعزب عنه شيء؛ إذ كان في هذا الكتاب العزيز ذكر الأشياء قبل وقوعها، وفيه أيضاً: التسوية بين نبينا – ﷺ – وبين موسى – عليه السلام– في إنزال كتابه جملة، والتفضيل لمحمد –ﷺ – في إنزاله عليه مُنَجماً، ليحفظه ".

وبين الإمام أبو شامة– رحمه الله – بعض الحكم من هذا التنزل، فقال: " فيه تفخيم لأمره وأمر من أنزل عليه، وذلك بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب، المنزل على خاتم الرسل لأشرف الأمم، قد قربناه إليهم لننزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجما بحسب الوقائع لهبَط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله– تعالى– باين بينه فجمع له الأمرين إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقا. وهذا من جملة ما شرف به نبينا – ﷺ – (١).

=

الهيئة المصرية العامة للكتاب– الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م– ت: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(١)– ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء/ للإمام علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبي الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، صـ٦٧، ط: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت– الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م– ت: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، والمرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز/ للإمام أبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى : ٦٦٥هـ)،٢٤–٢٥، ط :

=

التنزل الثالث: نزوله من بيت العزة في السماء الدنيا على قلب النبي محمد - ﷺ - في مدة ثلاث وعشرين سنة على الأرجح.

والدليل على هذا قوله – تعالى-:﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (١). وقوله – عز وجل-: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).وقوله – عز وجل-: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ (٣). وقوله – تعالى-: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ (٤).

هذه الآيات وغيرها وكذلك أقوال النبي– ﷺ– الثابتة تدل على أن القرآن نزل مفرقا على حسب الأحوال والحوادث، وهذا هو النزول الثالث للقرآن الذي به نزلت هداية الخالق للخلق وعم النور ظلام الأرض.

الحكمة من تعدد تنزلات القرآن

اجتهد العلماء في معرفة الحكم التي من أجلها تعددت تنزلات القرآن الكريم، فمن هذه الاجتهادات **اجتهاد** الإمام الزرقاني – رحمه الله – إذ يقول: " وفي تعدد النزول وأماكنه مرة في اللوح، وأخرى في بيت العزة، وثالثة على قلب النبي – ﷺ –: في ذلك التعدد مبالغة في نفي الشك عن القرآن وزيادة

=

دار صادر – بيروت– سنة النشر : ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م– ت : طيار آلتي قولاج، ويراجع من : الإتقان في علوم القرآن: صـ/١٤٩، ومباحث في علوم القرآن/ للشيخ: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، صـ/ ١٠٤، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع– الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

(١)– سورة الفرقان: الآية (١٠٦).
(٢)– سورة هود: الآية (١٢٠).
(٣)– سورة الفرقان: الآية (٣٢).
(٤)– سورة الشعراء: الآيات (١٩٢–١٩٥).

للإيمان وباعث على الثقة فيه؛ لأن الكلام إذا سجل في سجلات متعددة وصحت له وجودات كثيرة؛ كان ذلك أنفى للريب عنه، وأدعى إلى تسليم ثبوته، وأدنى إلى وفرة الإيقان به، مما لو سجل في سجل واحد، أو كان له وجود واحد". (١).

المطلب الثاني: حكم نزول القرآن مفرقا إجمالا.

أنزل الله القرآن الكريم على قلب النبي الأمين–ﷺ– مفرقا في مدة ثلاث وعشرين سنة على الأرجح لحكم كثيرة أذكرها إجمالا:

١– الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد النبي –ﷺ– وتقوية قلبه.

قال– عز وجل–:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ (٢).

وهذه الحكمة هي محل الدراسة؛ لذا يكون الحديث عنها بالتفصيل في المبحث القادم بإذن الله– تعالى–.

٢–الحكمة الثانية: التدرج في تربية هذه الأمة الناشئة علما وعملا.

وهذا الحكمة تتجلى في تيسير الحفظ وتسهيل الفهم والتمهيد لتخليهم عن العادات الباطلة والاستعداد للتحلي بالفضائل الصحيحة النافعة.

قال – سبحانه عز وجل–: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ (٣).

٣– الحكمة الثالثة: مسايرة الحوادث والطوارئ في تجددها وتفرقها فكلما جد منهم جديد نزل من القرآن ما يناسبه، وفصل الله لهم من أحكامه ما يوافقه.

وتظهر هذه الحكمة في أمور كثيرة منها :

---

(١)– ينظر: مناهل العرفان: ١/٤٦–٤٧.

(٢)– سورة الفرقان: الآية (٣٢).

(٣)– سورة الفرقان: الآية (١٠٦).

١- إجابته -ﷺ- للسائلين، كالسؤال عن الروح وعن أهوال يوم القيامة.
٢- بيان حكم الوقائع عند حدوثها، كحادثة الإفك وغيرها.

٤- الحكمة الرابعة: الإرشاد إلى مصدر القرآن وأنه كلام الله وحده وأنه لا يمكن أن يكون كلام -ﷺ- ولا كلام مخلوق سواه.

وبيان ذلك: أن القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى آخره فإذا هو محكم السرد دقيق السبك متين الأسلوب قوي الاتصال آخذ بعضه برقاب بعض في سورة وآياته وجمله يجري دم الإعجاز فيه كله من ألفه إلى يائه كأنه سبيكة واحدة ولا يكاد يوجد بين أجزائه تفكك ولا تخاذل كأنه حلقة مفرغة أو كأنه سمط وحيد وعقد فريد يأخذ بالأبصار نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته وجاء آخره مساوقا لأوله وبدا أوله مواتيا لآخره. (١).

هذه أهم الحكم التي من أجلها أنزل القرآن مفرقا على قلب النبي الأمين- ﷺ - بواسطة أمين الوحي جبريل - عليه السلام- وفي هذا يقول ربنا رب العالمين: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (٢).

(١)- ينظر: مناهل العرفان:١/٥٣-٦١. بتصرف.
(٢)- سورة الشعراء: الآيات (١٩٢-١٩٥).

المبحث الثاني

" تثبيت فؤاد النبي - ﷺ - "

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: آيات نزلت لتثبيته- ﷺ- عن طريق دعوته إلى الصبر.

المطلب الثاني: آيات نزلت لتثبيته- ﷺ- عن طريق تسليته بوعد الله له بالنصر كما نصر السابقين .

المطلب الثالث: آيات نزلت لتثبيته- ﷺ- عن طريق وعيد المكذبين له.

المطلب الرابع: اللطائف والفوائد المستنبطة من الآيات.

المطلب الأول

آيات نزلت لتثبيته - ﷺ- عن طريق دعوته إلى الصبر.

الموضع الأول

قال– تعالى–: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[1].

تمهيد لهذا الموضع

الموضع الأول الذي ندرسه في هذا المطلب وهو تثبيت ربنا – عز وجل – لنبينا– ﷺ– عن طريق دعوته للصبر، هذه الآية الجليلة التي جاءت في سورة يونس المكية التي نزلت وقت تعرض النبي–ﷺ– للأذى من قومه، بل من أقرب الناس إليه، فأنزل الله عليه القرآن؛ ليثبت نبيه الأمين ويبشره بأنه ناصره؛ لأن الله هو خير الحاكمين.

(١)– سورة يونس: الآيتان (١٠٨-١٠٩).

التفسير الإجمالي للآية

بعد أن أمر الله- تعالى- رسوله- ﷺ - بتبليغ قومه أنه جاءهم بالحق من ربهم، وأن عاقبة الاهتداء إليه والضلال عنه لا تلحق سواهم، وأنه ليس مكلفا بقهرهم على الاهتداء، أمره في هذه الآية بالثبات على اتباع وحيه، والصبر حتى يأتي النصر.

والمعنى: دم على ما أنت عليه من اتباع وحى الله – تعالى – ولا تدخل اليأس على نفسك بسبب إصرارهم على كفرهم، واصبر على ما تتعرض له من إيذاء المشركين وعنتهم وإمعانهم في الضلال، حتى يقضى الله تعالى فيهم قضاءه، وينفذ فيهم مشيئته وحكمه، فإنه أعدل الحاكمين.

وقد نفذ الرسول- ﷺ- ما أمره الله به من ملازمة الاتباع، ومداومة الصبر، وصبر معه المؤمنون وتحملوا أذى المشركين، حتى صدق الله وعده وأعز جنده، وهزم المشركين وحده، وجاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا، والحمد لله رب العالمين. (١).

من أقوال المفسرين

قال الإمام النسفي- رحمه الله-: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ ﴾ على تكذيبهم وايذائهم ﴿ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ ﴾ لك بالنصرة عليهم والغلبة ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ لأنه المطلع على السرائر، فلا يحتاج إلى بينة وشهود. (٢).

ورحم الله الإمام دروزة إذ يقول عند تفسيره لخواتيم سورة يونس ومنها هذه الآية: الآيات واضحة المعاني ولا تحتاج إلى أداء آخر، ولم يرو

(١)- التفسير الوسيط للقرآن الكريم / لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ١٥٥/٤ بتصرف يسير. ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).

(٢)- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)/ للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)،٤٥/٢، ط: دار الكلم الطيب، بيروت- الطبعة: الأولى،١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م - حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي- راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو.

المفسرون رواية خاصة في نزولها. والمتبادر أنها جاءت خاتمة لفصول المناظرة والحجاج التي احتوتها آيات السورة فصلا بعد فصل. ومعقبة على الآيات السابقة لها مباشرة ومؤيدة لما انطوى فيها من أهداف، وهي خاتمة قوية محكمة. وقد احتوت شرحا جديدا لمهمة النبي – ﷺ – وتقريرا لطبيعة رسالته، وبأسلوب واضح قوي ومؤثر من جهة وتطمينا لنفس النبي –ﷺ– وتثبيتا له وبثّا للسكينة في روعه من جهة أخرى. (١).

وذكر الدكتور الزحيلي– رحمه الله– عند تفسيره لخواتيم هذه السورة أيضا ما يلي: هذه خاتمة عظيمة موجزة أجملت ما في السورة من مبدأ اتباع شريعة الله ووحيه إلى نبيه، فبعد أن قرر– سبحانه وتعالى– دلائل التوحيد والنبوة والمعاد، وزيّن آخر هذه السورة بالبيان الدال على استقلاله تعالى بالخلق، والإبداع، ختمها بهذه الخاتمة الشريفة العالية، وهي إكمال الشريعة أو دين الحق، وأزال علة التنكر لها، وأوجب اتباعها، وأوضح للناس كافة طريق الرؤية الصحيحة: ﴿ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾(٢). **ثم فسر– رحمه الله– قوله تعالى–:** ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ **فقال:** أي: اتبع يا محمد ما أنزل الله عليك وأوحاه إليك، وتمسك به أشد التمسك،﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ على دعوتك وأذى قومك ومخالفة من خالفك من الناس، ﴿ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ ﴾ ، أي: يقضي بالفصل بينك وبينهم، أي: المكذبين فينصرك عليهم ويحقق لك الغلبة، ﴿ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ أي: أعدل الحكام وأحكمهم، يقضي بالعدل التام والحكمة الصحيحة والواقع

(١)– التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول] / للإمام دروزة محمد عزت،٣/٤٩٨، ط: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة– الطبعة: ١٣٨٣ هـ.

(٢)– سورة يونس: من الآية (١٠٨).

الحقيقي. وقد أنجز الله وعده لنبيه-ﷺ- فنصره مع الجند المؤمنين، على فئات المشركين، واستخلفهم في الأرض، وجعلهم الأئمة الوارثين.

وفي هذا تسلية للنبي-ﷺ- عما لقيه من أذى قومه، ووعد للمؤمنين أنصاره، ووعيد للكافرين أعدائه.(١).

الخلاصة

إن الناظر في كتب التفسير ليعلم معنى هذه الآية وما قبلها، يجد عقله يذهب به للتفكير في حال رسول الله- ﷺ - حينئذ، رجل صادق أمين أرسله ربه إلى الناس أجمعين ليبلغ دين رب العالمين، فلما بشر- ﷺ - وأنذر وخوف وحذر وأخبر قومه أنه رسول من عند الله؛ ليخرجهم من ظلام الشرك والوثنية إلى نور الهداية والإسلام، اعترضوا عليه وكذبوه ورموه بالسحر والشعر والجنون والكهانة وغيرها، وتعرضوا له بالأذى في جسده الشريف، فحزن لهذا، فثبته ربه وطمأن قلبه، وأنزل عليه هذه الآية وما قبلها، فاستجاب لربه وفعل ما أمره به فنصره ربه على أعدائه.

فوائد من الآية

هذه الآية كما هي تثبيت لحبيبنا- ﷺ - فهي أيضا زاد للدعاة إلى الله؛ لأن طريق الدعوة لن يكتب له النجاح إذا افتقد أمورا ، منها:

الأول: اتباع الوحي من قرآن وسنة.

الثاني: الصبر على المدعوين وتحمل الأذى.

الثالث: الثقة في نصر الله، وتثبيته.

فلا بد للداعي إلى الله- تعالى- أن يضع هذه الآية الكريمة أمام عينيه فيتبع أوامر الله ورسوله- ﷺ - ويصبر على الناس ويتحمل أذاهم، ويثق في نصر الله له وتثبيته.

---

(١)- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج/ للدكتور د وهبة بن مصطفى الزحيلي،١١/٢٨٦-٢٨٧، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق- الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

الموضع الثاني

قال– تعالى–: ﴿ وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع فيه تثبيت ربنا لنبينا عن طريق دعوته للصبر أيضا، فهذه الآية وردت في سورة من سور القرآن المكي في سورة هود التي نزلت تسلية للرسول –ﷺ– بعد موت زوجه خديجة وعمه أبي طالب، قبيل الإسراء والمعراج.

التفسير الإجمالي للآية

واصبر – أيها النبي – على مشاق ما أمرناك به، وأحسِنْ تنفيذه، يعطك الله أجراً عظيماً؛ لأنه لا يضيع عنده أجر المحسنين لأعمالهم. (٢).

من أقوال المفسرين

قال الإمام الطبري – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: واصبر، يا محمد، على ما تلقى من مشركي قومك من الأذى في الله والمكروه، رجاءَ جزيل ثواب الله على ذلك، فإن الله لا يضيع ثوابَ عمل من أحسن فأطاع الله واتبع أمره، فيذهب به، بل يوَفّره أحوجَ ما يكون إليه. (٣).

ويقول الإمام الطاهر بن عاشور– رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: عطف على جملة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾(٤) الآيات؛ لأنها سيقت

(١)– سورة هود: الآية (١١٥).

(٢)– المنتخب في تفسير القرآن الكريم/ للجنة من علماء الأزهر، صـ :٣٢٨، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام– الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.

(٣)– جامع البيان في تأويل القرآن/ للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)،٥٢٦/١٥، ط: مؤسسة الرسالة– الطبعة: الأولى، ١٤٢ هـ – ٢٠٠٠ م– ت: أحمد محمد شاكر.

(٤)– سورة هود: من الآية(١٠٩).

مساق التثبيت من جراء تأخير عقاب الذين كذبوا.

ومناسبة وقوع الأمر بالصبر عقب الأمر بالاستقامة والنهي عن الركون إلى الذين ظلموا: أن المأمورات لا تخلو عن مشقة عظيمة ومخالفة لهوى كثير من النفوس، فناسب أن يكون الأمر بالصبر بعد ذلك ليكون الصبر على الجميع كل بما يناسبه.

وتوجيه الخطاب إلى النبيء- ﷺ- تنويه به. والمقصود هو وأمته بقرينة التعليل بقوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ لما فيه من العموم والتفريع المقتضي جمعهما أن الصبر من حسنات المحسنين، وإلا لما كان للتفريع موقع. وحرف التأكيد مجلوب للاهتمام بالخبر.

وسمي الثواب أجرا؛ لوقوعه جزاء على الأعمال، وموعودا به فأشبه الأجر.(١).

وبين شيخ الأزهر السابق- رحمه الله- تفسير الآية، فقال: أي: واصبر أيها الرسول الكريم أنت ومن معك من المؤمنين على مشاق التكاليف التي كلفكم الله- تعالى- بها، فإنه-سبحانه- لا يضيع أجر من أحسن عملا، بل موفى الصابرين أجرهم بغير حساب.

قال الآلوسي- رحمه الله-: ومن البلاغة القرآنية أن الأوامر بأفعال الخير أفردت للنبي -ﷺ- وإن كانت عامة في المعنى، والمناهي جمعت للأمة، للدلالة على عظم منزلة الرسول-ﷺ- عند ربه. (٢).

---

(١)- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد/ للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،١٨٢/١٢، ط: الدار التونسية للنشر – تونس- سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٢)- التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ للدكتور محمد سيد طنطاوي،٢٨٩/٧، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة- الطبعة: الأولى، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)،٣٥٣/٦.بتصرف يسير. ط: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ- ت: علي عبد الباري عطية.

وخلاصة ما سبق:

أن هذه الآية وإن كان الخطاب فيها للنبي–ﷺ– على قول كثير من المفسرين، والمراد هو وأصحابه، وأمته من بعده ، وبعضهم قال: الخطاب للمصلي.

فعلى كل فالصبر للنبي–ﷺ– ولأصحابه؛ حتى يتحملوا الأذى، وأيضا لأمته(المصلي والداعي وغيرهم)، فلفظ الآية يحتمل الجميع.

فوائد من الآية

هذه الآية تثبيت لنبينا–ﷺ– حيث بين له ربه– عز وجل– أن الأجر على تبليغ الدعوة والصبر عليها لن يضيع عند الله ؛ لأنه– تعالى– لا يضيع أجر المحسنين.

وفي الآية أيضا:

١ – حث للمسلمين على الصبر على الطاعة كالاستقامة، وإقامة الصلاة، واتباع السيئة بالحسنة.

٢ – وحث لهم على الصبر عن المعصية كالطغيان، والركون إلى الظالمين.

٣– ووعد لهم بأن الله لا يضيع أجرهم.

الموضع الثالث

قال- تعالى-: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع فيه تثبيت ربنا- عز وجل- لنبينا- ﷺ- عن طريق دعوته للصبر وعدم الانتقام وترك الغضب، وعدم الحزن والهم والغم، وهذه الآية وردت في سورة من سور القرآن المكي في سورة النحل وحثت الآية النبي-ﷺ- على الصبر ودعته إلى تفويض الأمر إلى الله؛ فإنه مؤيده ومثبته ومعينه ومقويه وناصره على أعدائه.

التفسير الإجمالي للآية

واصبر وما صبرك إلا بالله، أي: بمعونة الله وتوفيقه، ولا تحزن عليهم، في إعراضهم عنك، ولا تك في ضيق مما يمكرون، أي: فيما فعلوا من الأفاعيل. (٢).

من أقوال المفسرين

يقول الإمام السمرقندي – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: قال- عز وجل-: ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ أي: اثبت على الصبر، ﴿ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ يعني: ألهمك ووفقك للصبر ﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: على كفار قريش إن لم يسلموا، ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ قرأ ابن كثير: ﴿فِي ضِيقٍ﴾ بكسر الضاد، وقرأ الباقون: بالنصب.

---

(١)- سورة النحل: الآية (١٢٧).

(٢)- ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي/ للإمام محيي السنة ، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ)،١٠٤/٣، ط : دار إحياء التراث العربي -بيروت- الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ- ت : عبد الرزاق المهدي.

ومعناهما واحد. أي: لا يضق صدرك مما يقولون لك، ويصنعون بك. وقال مقاتل: نزلت الآية في المستهزئين. (١).

وذكر الإمام الزمخشري– رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ أنت فعزم عليه بالصبر **﴿ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾** أي: بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك **﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾** أي: على الكافرين، كقوله: **﴿ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾**(٢) أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون **﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ ﴾** وقرئ: ولا تكن في ضِيق، أي: ولا يضيقن صدرك من مكرهم. والضيق: تخفيف الضيق، أي: في أمر ضيق. ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين، كالقيل والقول.(٣).

ورحم الله العلامة ابن الخطيب إذ يقول عند تفسيره لهذه الآية وما قبلها : اعْلَمْ أَنَّهُ– تَعَالَى– أَمَرَ بِرِعَايَةِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَرَتَّبَ ذَلِكَ عَلَى أَرْبَعِ مَرَاتِبَ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: قَوْلُهُ: **﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾** (٤) يَعْنِي إِنْ رَغِبْتُمْ فِي اسْتِيفَاءِ الْقِصَاصِ فَاقْنَعُوا بِالْمِثْلِ وَلَا تَزِيدُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ اسْتِيفَاءِ الزِّيَادَةِ ظُلْمٌ وَالظُّلْمُ مَمْنُوعٌ مِنْهُ فِي عَدْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، وَفِي قَوْلِهِ: **﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ ﴾** دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَوْلَى لَهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ، كَمَا أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ

(١)– بحر العلوم/ للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) ٢٩٨/٢، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة ، للشيخ/ عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، صـ/١٨٣، ط:: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

(٢)– سورة المائدة: من الآية (٦٨).

(٣)– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ للإمام أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،٦٤٥/٢، ط: دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

(٤)– سورة النحل: من الآية (١٢٦).

لِلْمَرِيضِ: إِنْ كُنْتَ تَأْكُلُ الْفَاكِهَةَ فَكُلِ التُّفَّاحَ، كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَوْلَى بِكَ أَنْ لَا تَأْكُلَهُ، فَذَكَرَ – تَعَالَى– بِطَرِيقِ الرَّمْزِ وَالتَّعْرِيضِ عَلَى أَنَّ الْأَوْلَى تَرْكُهُ.

وَالْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الِانْتِقَالُ مِنَ التَّعْرِيضِ إِلَى التَّصْرِيحِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾[1] وَهَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ الْأَوْلَى تَرْكُ ذَلِكَ الِانْتِقَامِ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْإِنْفَاعَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِيلَامِ.

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: وَهُوَ وُرُودُ الْأَمْرِ بِالْجَزْمِ بِالتَّرْكِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وَٱصْبِرْ ﴾ ؛ لِأَنَّهُ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ ذَكَرَ أَنَّ التَّرْكَ خَيْرٌ وَأَوْلَى، وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ صَرَّحَ بِالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ، وَلَمَّا كَانَ الصَّبْرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ شَاقًّا شَدِيدًا ذَكَرَ بَعْدَهُ مَا يُفِيدُ سُهُولَتَهُ فَقَالَ: ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أَيْ: بِتَوْفِيقِهِ وَمَعُونَتِهِ وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الْكُلِّيُّ الْأَصْلِيُّ الْمُفِيدُ فِي حُصُولِ الصَّبْرِ وَفِي حُصُولِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ. وَلَمَّا ذَكَرَ هَذَا السَّبَبَ الْكُلِّيَّ الْأَصْلِيَّ ذَكَرَ بَعْدَهُ مَا هُوَ السَّبَبُ الْجُزْئِيُّ الْقَرِيبُ، فَقَالَ: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ وَذَلِكَ لِأَنَّ إِقْدَامَ الْإِنْسَانِ عَلَى الِانْتِقَامِ، وَعَلَى إِنْزَالِ الضَّرَرِ بِالْغَيْرِ لَا يَكُونُ إِلَّا عِنْدَ هَيَجَانِ الْغَضَبِ، وَشِدَّةُ الْغَضَبِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: فَوَاتُ نَفْعٍ كَانَ حَاصِلًا فِي الْمَاضِي وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ قِيلَ مَعْنَاهُ: وَلَا تَحْزَنْ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، وَمَعْنَاهُ لَا تَحْزَنْ بِسَبَبِ فَوْتِ أُولَئِكَ الْأَصْدِقَاءِ. وَيَرْجِعُ حَاصِلُهُ إِلَى فَوْتِ النَّفْعِ.

وَالسَّبَبُ الثَّانِي: لِشِدَّةِ الْغَضَبِ تَوَقُّعُ ضَرَرٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ وَمَنْ وَقَفَ عَلَى هَذِهِ اللَّطَائِفِ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ كَلَامٌ أَدْخَلُ فِي الْحُسْنِ وَالضَّبْطِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ...

(١)– سورة النحل: من الآية (١٢٦).

ثم قال– رحمه الله– عن سر التعبير بقوله ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾: هذا من الكلام الْمَقْلُوبِ؛ لِأَنَّ الضَّيْقَ صِفَةٌ، وَالصِّفَةُ تَكُونُ حَاصِلَةً في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة، فكان المعنى فلا يكن الضَّيْقُ فِيكَ، إِلَّا أَنَّ الْفَائِدَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ ﴾ هُوَ أَنَّ الضَّيْقَ إِذَا عَظُمَ وَقَوِيَ صَارَ كَالشَّيْءِ الْمُحِيطِ بِالْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ الْجَوَانِبِ وَصَارَ كَالْقَمِيصِ الْمُحِيطِ بِهِ، فَكَانَتِ الْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ هَذَا اللَّفْظِ هَذَا الْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[1] وَهَذَا يَجْرِي مَجْرَى التَّهْدِيدِ؛ لِأَنَّ فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى رَغَّبَ فِي تَرْكِ الِانْتِقَامِ عَلَى سَبِيلِ الرَّمْزِ، وَفِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ عَدَلَ عَنِ الرَّمْزِ إِلَى التَّصْرِيحِ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ وَفِي الْمَرْتَبَةِ الثَّالِثَةِ أَمَرَنَا بِالصَّبْرِ عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ كَأَنَّهُ ذَكَرَ الْوَعِيدَ فِي فِعْلِ الِانْتِقَامِ فَقَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ عَنِ اسْتِيفَاءِ الزِّيَادَةِ: ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ فِي تَرْكِ أَصْلِ الِانْتِقَامِ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ فَكُنْ مِنَ الْمُتَّقِينَ وَمِنَ الْمُحْسِنِينَ. وَمَنْ وَقَفَ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ عَرَفَ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ الرِّفْقِ وَاللُّطْفِ مَرْتَبَةً فَمَرْتَبَةً، وَلَمَّا قَالَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[2] ذَكَرَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَةَ، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الدَّعْوَةَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ وَاقِعَةً عَلَى هَذَا الوجه، وَعِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى هَذِهِ اللَّطَائِفِ يَعْلَمُ الْعَاقِلُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ الْكَرِيمَ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ. [3].

---

(١)– سورة النحل: الآية (١٢٨).

(٢)– سورة النحل: من الآية (١٢٥).

(٣)– مفاتيح الغيب / للإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ٢٠/٢٨٩-٢٩٠، بتصرف. ط: دار إحياء التراث =

وبين الإمام البيضاوي- رحمه الله-المراد بقوله- تعالى-: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ ﴾ فقال: إلا بتوفيقه وتثبيته. **﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾** على الكافرين، أو على المؤمنين وما فعل بهم. **﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾** في ضيق صدر من مكرهم، وقرأ ابن كثير: في **﴿ضِيقٍ﴾** بالكسر هنا وفي «النمل»[(١)]. وهما لغتان كالقول والقيل، ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق.[(٢)].

وقال الإمام المراغي- رحمه الله-: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي: واصبر على ما أصابك منهم من أذى في الله، ومن إعراض عن الدعوة، وما صبرك إن صبرت إلا بمعونة الله وحسن توفيقه، ومشيئته المبنية على الحكم البالغة التي تنتهى إلى عواقب حميدة.

وفى هذا تسلية للنبي-ﷺ- وتهوين لمشاقّ الصبر عليه وتشريف له بما لا مزيد عليه.

﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: ولا تحزن على إعراض المشركين الذين يكذّبونك وينكرون ما جئتهم به. **﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾** أي: ولا يضق صدرك بما يقولون من الجهل بنسبتك إلى السحر والكهانة والشعر احتيالا وخديعة لمن أراد الإيمان بك، وصدّا عن سبيل الله.

=

العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(١)- أي: قوله فيها: **﴿ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾[النمل: الآية:٧٠]**

(٢)- أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)،٣/٢٤٥، ط: : دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ- ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي.

وقصارى ذلك– إنه نهى نبيه–ﷺ– أن يضيق صدره مما يلقى من أذى المشركين على تبليغهم وحي الله وتنزيله... ، فالله كافيك أذاهم، وناصرك عليهم، ومؤيدك ومظهرك عليهم، فمهما حاولوا إيصال الأذى بك، فإن الله مبعده عنك، ومحبط ما صنعوا وهم لا يشعرون. (١).

وجملة القول:

أن هذه الآية تحث النبي– ﷺ– على الصبر وعدم الانتقام من الذين مثلوا بالمسلمين في غزوة أحد، والصبر هذا مستمد من معونة الله وتوفيقه وتأييده وتثبيته له– ﷺ– ونهته– ﷺ– أيضا عن الحزن على ما حدث للمؤمنين، أو الحزن على الكافرين لفوت إيمانهم، ونهته– ﷺ– أيضا عن الغم والهم بما يمكرون ويخططون.

فوائد من الآية

احتوت هذه الآية على جملة من الفوائد، منها:

١–الاستعانة بالله في كل شيء؛ لأن القوة تستمد منه– سبحانه وتعالى–.

٢–الصبر أولى من الانتقام؛ لأن الانتقام يكون في وقت الغضب فغالبا يؤدي إلى ضرر أكبر.

٣–عدم الحزن على ما مات في سبيل الله؛ لأن ما عند الله خير وأبقى.

٤– عدم الضيق وانشغال العقل والقلب بمكر الأعداء فالله – تعالى– محيط بهم وسيجازيهم بمكرهم.

(١)– تفسير المراغي/ للإمام أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)،١٤/١٦٢–١٦٣، ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر– الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ –١٩٤٦ م.

الموضع الرابع

قال- تعالى-: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة من سور القرآن المكي، في سورة الطور، التي كثر فيها الحديث عن افتراءات المشركين وأكاذيبهم وأباطيلهم وجحودهم وعنادهم للنبي الأمين وللقرآن الكريم، ثم تثبيت الله- تعالى- لنبيه الكريم -ﷺ- عن طريق دعوته للصبر وحثه على الرضا بحكم الله، والمداومة على التسبيح.

التفسير الإجمالي للآية

واصبر لحكم ربك بإمهالهم، وعلى ما يلحقك من أذاهم، فإنك في حفظنا ورعايتنا، فلن يضرك كيدهم، وسبح بحمد ربك حين تقوم. (٢).

من أقوال المفسرين

قال الإمام السمعاني- رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: قَوْله - تَعَالَى-: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ أَي: لما حكم عَلَيْك، وَهَذَا تَعْزِيَة وتسلية لَهُ فِي الْأَذَى الَّذِي كَانَ يلْحقهُ من الْكفَّار.

وَقَوله: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ قَالَ ابْن عَبَّاس: بمرأى منا، وَيُقَال: نَحن نرَاك ونحفظك ونرعاك. **قَالَ أهل الْمعَانِي:** وَهَذَا إِنَّمَا قَالَه لتيسير الْأَمر عَلَيْهِ وتسهيله؛ لِأَنَّهُ إِذا علم أَن الْأَذَى الَّذِي يلْحقهُ من الْكفَّار بِحكم الله ومرأى مِنْهُ، سهل عَلَيْهِ بعض السهولة، فَإِنَّهُ لَا يتْرك مجازاتهم على ذَلِك وإثابته على مَا لحقه من الْأَذَى.

---

(١)- سورة الطور: الآية (٤٨).

(٢)- المنتخب في تفسير القرآن الكريم: صـ :٧٧٩.

وَقَوله: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ أَي: صل حامدا لِرَبِّك.

وَعَن عمر بن الْخطاب– رَضِي الله عَنهُ– أَن مَعْنَاهُ: هُوَ أَنه إِذا قَامَ إِلَى الصَّلَاة يَقُول: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، وتبارك اسْمك، وَتَعَالَى جدك، وَلَا إِلَه غَيْرك.

وَعَن بَعضهم أَنه إِذا قَامَ إِلَى الصَّلَاة يَقُول: الله أكبر كَبِيرا، وَالْحَمْد لله كثيرا وَسُبْحَان الله بكرَة وَأَصِيلا، فَهُوَ المُرَاد من الْآيَة، قَالَه زر بن حُبَيْش.

وَقَالَ أَبُو الْأَحْوَص مَعْنَاهُ: أَنه يَقُول: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِك إِذا قَامَ من أَي مجْلِس كَانَ. وَعَن بَعضهم أَنه يقول: إِذا قَامَ من الْمجْلس: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِك، لَا إِلَه إِلَّا أَنْت، أستغفرك وَأَتُوب إِلَيْك. فَهُوَ كَفَّارَة لكل مجْلِس جلسه الْإِنْسَان.(١).

ووضح الإمام المحلي – رحمه الله – المراد بقوله– تعالى–: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ فقال: بِإِمْهَالِهِمْ وَلَا يَضِقْ صَدْرك **﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾** بِمَرْأًى مِنَّا نَرَاك وَنَحْفَظك **﴿ وَسَبِّحْ ﴾** مُتَلَبِّسًا **﴿ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾** أَيْ: قُلْ: سُبْحَان اللَّه وَبِحَمْدِهِ **﴿ حِينَ تَقُومُ ﴾** مِنْ مَنَامك أَوْ مِنْ مجلسك. (٢).

وذكر الإمام الثعالبي– رحمه الله– معنى قوله– تعالى﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ فقال: **﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾** أي: بمرأى ومنظر، نرى ونَسْمَعُ ما تقول،

(١)– تفسير القرآن/ للإمام أبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، ٢٨١/٥، ط: : دار الوطن، الرياض – السعودية– الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م– ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.

(٢)– تفسير الجلالين/ للإمامين جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، صـ/٧٠٠، ط: دار الحديث – القاهرة– الطبعة: الأولى.

وأَنَّك في حفظنا وحيطتنا كما تقول: فلان يرعاه المَلِكُ بعين، وهذه الآية ينبغي أَنْ يُقَرِّرَهَا كُلُّ مؤمن في نفسه فإنها تُفَسِّحُ مضايق الدنيا. (١).

وخلاصة ما سبق:

أن هذه الآية تحث الرسول- صلوات ربي وتسليماته عليه- على الصبر وتحمل الأذى والرضا بما يحدث له ؛لأنه حكم الله، وتثبت قلبه - ﷺ- ؛ لأن الله هو حافظه وناصره ومعينه، ودله ربه- عز وجل- على التسبيح في سائر الأوقات المختلفة.

فوائد من الآية:

التعبير بلفظ : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ يدل على عظم مكانة النبي-ﷺ- عند ربه -عز وجل- كما يدل على الإيذاءات الكثيرة التي تعرض لها- ﷺ- فثبتته ربه وطمأن قلبه وجوارحه بهذا التعبير الدقيق؛ لأنه يدل مدى الرعاية والعناية الإلهية والعصمة الربانية للنفس المحمدية-ﷺ- .

وفي الآية أيضا:

١- حث للمسلمين على الصبر وتحمل الأذى.

٢- وحث لهم على بعض الوسائل المعينة لهم على الصبر، كالتسبيح في سائر الأوقات المختلفة .

ورحم الله الإمام الطيبي إذ يقول: ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ استعارة تمثيلية شبهت حالة كلائه وحفظه رسول الله-ﷺ- بحالة من يراقب الشيء بعينيه ويحفظه. وجمع العين؛ لأن الضمير بلفظ ضمير الجماعة، يعني: راعى المناسبة بين الجمعين، أعني العين وضمير الجماعة، وحين أفرد الضمير أفرد العين في

(١)- الجواهر الحسان في تفسير القرآن/ للإمام أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، ٣١٩/٥، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ- ت: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود

قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾[1] ويمكن أن يقال: أن ذلك امتنان على الكليم في كلاءته وحفظه من العدو في بدء حالة وتربيته في حال الطفولية، كما قال: "ولتربي ويحسن إليك، وأنا راعيك وراقبك، كما يراعي الرجل الشيء بعينيه إذا اعتنى به"، فناسب الإفراد وهذا تعليل لتصبير الحبيب على مكائد أعداء الدين، كما قال: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾[2] وتثبيته على مشاق التكاليف والعبادات، ألا ترى كيف عطف﴿وَسَبِّحْ﴾ على ﴿وَٱصْبِرْ﴾ عطف الخاص على العام فناسبه الجمعان.[3].

(١)– سورة طه: الآية (٣٩).

(٢)– سورة الطور: الآية (٤٢).

(٣)– فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)/ لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)،١٥/ ٦٥-٦٦، بتصرف يسير، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم– الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج– القسم الدراسي: د. جميل بني عطا– المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء.

الموضع الخامس

قال- تعالى-:﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة المزمل التي كثر فيها الحديث عن الأمور التي تدخل التسلية والصبر على قلب النبي- ﷺ - ففي السور التي سبقتها في النزول- العلق، والمدثر، أو معهما القلم- كلام المشركين وأباطيلهم في النبي الصادق المعصوم، وفي القرآن العظيم، وفي الرب الحليم، فجاءت هذه السورة لتبين قيمة القرآن، وهيمنة الملك القوي المتين، ومكانة الرسول الكريم، وتهدد الكافرين المفترين الأفاكين بالعذاب الأليم المهين، وترشد المؤمنين إلى ما فيه نجاتهم في الدنيا والدين، من صلاة وقراءة للقرآن وإيتاء للزكاة وطلب المغفرة من الغفور الرحيم.

التفسير الإجمالي للآية

أي: احبس نفسك على ما يصيبك من أذى قومك وسفاهتهم التي يرمونك بها من صفات التعييب والتنقيص كقولهم: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون إلى غير ذلك مما كانوا ينسبونه إليه استهزاء به وسخرية منه-ﷺ- واجعل نفسك في جانب وهم في جانب، واصبر على ما يبدر منهم؛ فالهجر الجميل: هو أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالفة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة. (٢).

(١)- سورة المزمل: الآية (١٠).

(٢)- التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر: ١٠/١٦٣٩.

من أقوال المفسرين

ذكر العلامة الرازي– رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية ما يلي: الْمَعْنَى: إِنَّكَ لَمَّا اتَّخَذْتَنِي وَكِيلًا فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ، وَفَوِّضْ أَمْرَهُمْ إِلَيَّ فَإِنَّنِي لَمَّا كُنْتُ وَكِيلًا لَكَ أَقُومُ بِإِصْلَاحِ أَمْرِكَ أَحْسَنَ مِنْ قِيَامِكَ بِإِصْلَاحِ أُمُورِ نَفْسِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ مُهِمَّاتِ الْعِبَادِ مَحْصُورَةٌ فِي أَمْرَيْنِ كَيْفِيَّةِ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ اللَّهِ، وَكَيْفِيَّةِ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ الْخَلْقِ، وَالْأَوَّلُ أَهَمُّ مِنَ الثَّانِي، فَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْقِسْمِ الْأَوَّلِ أَتْبَعَهُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقِسْمِ الثَّانِي، وَهُو– سُبْحَانَهُ– جَمَعَ كَلَّ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الْبَابِ فِي هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُخَالِطًا لِلنَّاسِ أَوْ مُجَانِبًا عَنْهُمْ، فَإِنْ خَالَطَهُمْ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمُصَابَرَةِ عَلَى إِيذَائِهِمْ وَإِيحَاشِهِمْ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ يَطْمَعُ مِنْهُمْ فِي الْخَيْرِ وَالرَّاحَةِ لَمْ يَجِدْ فَيَقَعَ فِي الْغُمُومِ وَالْأَحْزَانِ، فَثَبَتَ أَنَّ مَنْ أَرَادَ مُخَالَطَةً مَعَ الْخَلْقِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الصَّبْرِ الْكَثِيرِ، فَأَمَّا إِنْ تَرَكَ الْمُخَالَطَةَ فَذَاكَ هُوَ الْهَجْرُ الْجَمِيلُ، فَثَبَتَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ أَحَدِ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ أَنْ يُجَانِبَهُمْ بِقَلْبِهِ وَهَوَاهُ وَيُخَالِفَهُمْ فِي الْأَفْعَالِ مَعَ الْمُدَارَاةِ وَالْإِغْضَاءِ وَتَرْكِ الْمُكَافَأَةِ، وَنَظِيرُهُ: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ﴾[1] ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[2] ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا ﴾[3] **قَالَ الْمُفَسِّرُونَ:** هَذِهِ الْآيَةُ إِنَّمَا نَزَلَتْ قَبْلَ آيَةِ الْقِتَالِ ثُمَّ نُسِخَتْ بِالْأَمْرِ بِالْقِتَالِ. **وَقَالَ آخَرُونَ:** بَلْ ذَلِكَ هُوَ الْأَخْذُ بِإِذْنِ اللَّهِ فِيمَا يَكُونُ أَدْعَى إِلَى الْقَبُولِ، فَلَا يَرِدُ النَّسْخُ فِي مِثْلِهِ وهذا أصح.[4].

(١)– سورة النساء: من الآية (٦٣).
(٢)– سورة الأعراف: من الآية (١٩٩).
(٣)– سورة النجم: من الآية (٢٩).
(٤)– مفاتيح الغيب: ٦٨٩/٣٠.

ويقول الإمام ابن كثير- رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: يَقُولُ- تَعَالَى- آمِرًا رَسُولَهُ -ﷺ- بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يَقُولُهُ مَنْ كَذَّبَهُ مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ، وَأَنْ يَهْجُرَهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَهُوَ الَّذِي لَا عِتَابَ مَعَهُ. (١).

وبين الشيخ عبد الكريم الخطيب – رحمه الله – تفسير هذه الآية، فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ ... هو معطوف على قوله- تعالى-: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ (٢) أي: اتخذ ربك الذي لا إله إلا هو، وكيلا، تستند إليه في جميع أمورك، بعد أن انقطعت إليه، ووضعت وجودك كله في سبيل مرضاته.. واصبر على ما يأتيك من المشركين من أقوال ضالة مفتراة، وما يرمونك به من تهم باطلة كاذبة.. اصبر على سفاهتهم تلك، وقولهم: إنك مجنون، وإنك شاعر، أو كاهن، أو مفتر متقوّل على الله.. اصبر على كل هذا، فذلك هو من آثار هذا القول الثقيل الذي ألقيناه عليك، وتلك هي المهمة الثقيلة التي انتدبناك لحملها.. وإنه لا يعنيك على حمل هذا العبء الثقيل إلا توكلك على الله، واعتصامك بالصبر، وقوله تعالى: ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾... أي: واهجر المشركين إذا انقطع بينك وبينهم ما ترجو لهم من خير- اهجرهم هجرا جميلا، أي: كن رفيقا بهم، متوددا إليهم، ولا يحملنّك ما يرمونك به من سفاهة وجهل، على بغضهم، والدعاء عليهم بل ارفق بهم، والتمس العذر لهم، فهذا هو شأن العالم مع الجاهل، والطبيب مع المريض فإذا انتهى بك الأمر معهم إلى القطيعة، فليكن ذلك بحكمة وبرفق من جهتك، كأن تقول: سلام عليكم... لي عملي ولكم عملكم...

(١)- تفسير القرآن العظيم/ للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،٢٥٦/٨، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع- الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م- ت: سامي بن محمد سلامة.

(٢)- سورة المزمل: من الآية(٥).

إني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا... إلى غير ذلك مما علمك الله، من الدعوة إليه، بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن. (١).

وخلاصة ما سبق:

أن هذه الآية تحث الرسول–ﷺ– على الصبر وتحمل الأذى بعد التوكل على الله وتحثه على الهجر الذي لا عتاب فيه.

فوائد من الآية:

الحقيقة أن هذه الآية وإن كانت تخاطب النبي–ﷺ– ولكنها من الآيات التي ينبغي أن يجعلها كل داع إلى الله نصب عينيه؛ لأنها تنظم العلاقة بينه وبين الناس، فتدعوه للصبر عند المخالطة، وإلى الهجر الجميل عند المفارقة. **والآية أيضا:** تحث عامة المسلمين على الصبر، أو الهجر الجميل.

لطيفة في بيان الفرق بين الصفح الجميل والهجر الجميل والصبر الجميل

ذكر الله– تعالى– في كتابه العزيز ثلاثة أشياء وصفها بـ (الجميل) وأمر بها نبيّه–ﷺ– وهي: قوله– تعالى–: ﴿ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ (٢) وقوله – تعالى–: ﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ (٣) وقوله– تعالى–: ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴾ (٤).

فالصبرُ الجميل: الصبرُ الذي لا شكوى معه.

والهجرُ الجميل: الهجرُ الذي لا أذيّة معه.

والصفح الجميل: الصفحُ الذي لا عتاب معه. (٥).

---

(١)– التفسير القرآني للقرآن/ للشيخ عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ)، ١٢٥٩/١٥–١٢٦٠، ط : دار الفكر العربي – القاهرة.

(٢)– سورة المعارج: من الآية(٥).

(٣)– سورة المزمل: من الآية (١٠).

(٤)– سورة الحجر: من الآية (٨٥).

(٥)– روائع البيان تفسير آيات الأحكام/ للشيخ محمد علي الصابوني،٦٢٧/٢، ط: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت– الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م– طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي. ويراجع من كتاب العبودية/ للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم =

الموضع السادس

قال- تعالى-: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع:

هذا الموضع ورد في سورة طه، التي هي من القرآن المكي، وفيها الحديث عن القرآن وعن قصة موسى-عليه السلام- وعن بعض أحداث قصة آدم – عليه السلام- وفيها ايضا دعوة الرسول -ﷺ- إلى الصبر وتحمل الأذى، ودعوته إلى التسبيح، وفيها الحديث عن وعيد الكافرين.

التفسير الإجمالي للآية

أي: فاصبر أيها الرسول على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من نحو قولهم: إنك لساحر، وإنك لمجنون، وإنك لشاعر، واشتغل بتنزيه الله- تعالى- قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وفى ساعات الليل المختلفة وفى أطراف النهار، والمراد من مثل ذلك عموم الأوقات، وسبحه رجاء أن تنال عنده- تعالى- ما ترضى به نفسك من الثواب. (٢).

=

بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، صـ/٨٥، ط: المكتب الإسلامي – بيروت- الطبعة: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ت: محمد زهير الشاويش.

(١)- سورة طه: الآية (١٣٠).

(٢)- تفسير المراغي:١٦/١٦٥-١٦٦.

من أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير– رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ أي: من تكذيبهم لك، **﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ ﴾** يعني: صلاة الفجر **﴿ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا ﴾** يعني: صلاة العصر.(١).

وبين الإمام ابن عجيبة– رحمه الله – تفسير هذه الآية، فقال﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾أي: إذا كان الأمر على ما ذكرنا من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال، بل إمهال، وأنه لازم لهم ألبتة. فاصبرْ على ما يقولون من كلمات الكفر فإن علمه–ﷺ– بأنهم هالكون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر، أو اصْبِرْ على ما يقولون، واشتغل بالله عنهم، ولا تلتفت إلى هلاكهم ولا بقائهم، فالله أدرى بهم. **﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾** أي: نزّهه عما ينسبون إليه، ما لا يليق بشأنه الرفيع، حامدًا له على ما خصك به من الهدى، معترفًا بأنه مولى النعم كلها. (٢).

وذكر الإمام القاسمي – رحمه الله – المراد من هذه الآية، فقال: أي إذا كان تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إمهال، فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر، فالفاء سببية. والمراد بالصبر عدم الاضطراب لما صدر منهم، لا ترك القتال حتى تكون الآية منسوخة. **وفي التسبيح المأمور به وجهان:**

الأول: أنه التنزيه. والمعنى: ونزه ربك عن الشرك وسائر ما يضيفون إليه من النقائص، حامدا له على ما ميّزك بالهدى، معترفا بأنه المولى للنعم كلها. ومن صيغه المأثورة (سبحان الله وبحمده) . وعليه فسرّ تخصيص هذه الأوقات الإشارة إلى الدوام، مع أن لبعض الأوقات مزية يفضل بها غيرها.

---

(١)– تفسير ابن كثير:٥/٣٢٥.

(٢)– البحر المديد:٣/٤٣٤.

الثاني: أنه الصلاة وهو الأقرب لآية ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾ [١]، والآيات يفسر بعضها بعضا. والمعنى: صلّ وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه، قبل طلوع الشمس، يعني صلاة الفجر. وقبل غروبها، يعني صلاة الظهر والعصر، لأنهما واقعتان في النصف الأخير من النهار، بين زوال الشمس وغروبها وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ أي من ساعاته، يعني المغرب والعشاء. وإنما قدم الوقت فيهما، لاختصاصهما بمزيد الفضل. وذلك لأن أفضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب وهدوء الرّجل والخلوّ بالرب تعالى. ولأن الليل وقت السكون والراحة، فإذا صرف إلى العبادة كانت على النفس أشد وأشق، وللبدن أتعب وأنصب، فكانت أفضل عند الله وأقرب. [٢].

وخلاصة ما سبق:

أن هذه الآية تدعو الرسول- ﷺ- إلى الصبر وتحمل الأذى، والمداومة على الصلاة والتسبيح.

فوائد من الآية

هذه الآية وإن كان الخطاب فيها للنبي- ﷺ- ولكن ينبغي علينا أن نجعلها نورا يهدينا في الظلام، وجلاء لضيق الصدور عند الهم والغم والحزن، فعلينا بالصبر والصلاة وذكر الله؛ لأنه بذكره تطمئن القلوب وتثبت.

(١)- سورة البقرة: من الآية (٤٥).

(٢)- محاسن التأويل/ للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)،٧/١٦٥-١٦٦، ط: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ- ت: محمد باسل عيون السود.

الموضع السابع

قال– تعالى–: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة المدثر التي هي من القرآن المكي، بل من أوائل السور نزولا على النبي–ﷺ– وفيها الحديث عن تكريم النبي–ﷺ– وأمره بتبليغ ما أوحاه الله – تعالى– إليه الى الناس، وتسليته عما أصابه من أذى، وتهديد أعدائه بأشد ألوان العقاب، وبيان حسن عاقبة المؤمنين، وسوء عاقبة المكذبين، والرد عليهم بما يبطل دعاواهم. (٢)

التفسير الإجمالي للآية

أي: إذا كان الأمر كذلك وقد قمت بالواجب عليك واتبعت نصائح ربك، ثم وجدت من قومك إعراضا وتكذيبا وإيذاء؛ فاصبر لأجل ربك ولتبليغ رسالاته، وتلقين وحيه، فإن الصبر هو عدة المسلم وطريق الوصول إلى ما يريد.(٣).

من أقوال المفسرين

قال الإمام القشيري– رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ أي: أنت تؤذى في الله، فاصبر على مقاساة أذاهم.(٤).

---

(١)– سورة المدثر: الآية (٧).

(٢)– التفسير الوسيط للقرآن الكريم/للدكتور طنطاوي:١٥/١٧٢. بتصرف يسير.

(٣)– التفسير الواضح/ للدكتور الحجازي، محمد محمود،٣/٧٧٥، ط: دار الجيل الجديد – بيروت– الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

(٤)– لطائف الإشارات:٣/٦٤٨.

ووضح الإمام الواحدي- رحمه الله- تفسيره هذه الآية، فقال: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ اصبر لله على أوامره ونواهيه وما يمتحنك به حتى يَكون هو الذي يُثيبك عليها. (١).

ويقول الإمام العز بن عبد السلام – رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَلِرَبِّكَ ﴾ لأمر ربك أو لوعده أو لوجهه ﴿ فَٱصۡبِرۡ ﴾ على ما لقيت من الأذى والمكروه أو على محاربة العرب ثم العجم أو على الحق فلا يكن أحدٌ أبر عندك فيه من أحد أو على عطيتك لله أو على الوعظ لوجه الله أو على انتظار ثواب عملك من الله – تعالى – أو على ما أُمِرت به من أداء الرسالة وتعليم الدين.(٢).

وبين الإمام الكوراني- رحمه الله- معنى قوله – تعالى-: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ فقال: لوجهه، وانقياداً لأمره. استعمل الصبر في مشاق التبليغ، وأذى الكفار.(٣).

وجملة ما سبق:

أن هذه الآية تدعو الرسول-ﷺ- إلى الصبر في كل شيء، في الدعوة والتبليغ، في الحرب، في تحمل الأذى، في انتظار الأجر والثواب من الله.

فوائد من الآية

هذه الآية وإن كان الخطاب فيها للنبي-ﷺ- ولكن ينبغي علينا أن نجعلها أمام أعيننا حتى نتعلم الصبر في كل شيء، في الدعوة إلى الله، في

(١)- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: صـ/١١٤٩.

(٢)- تفسير القرآن/٣/٣٨٥.

(٣)- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني/ للإمام: أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (المتوفى: ٨٩٣هـ)، صـ/٢٧٠، من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس- دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)- ط: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا- عام النشر: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

تحمل الأذى والمكاره من الناس، في انتظار الثواب واستجابة الدعاء من الله، في الصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي، وبالجملة أن نخلص أحوالنا كلها لله حتى يرضى عنا الإله الواحد– سبحانه وتعالى–.

المطلب الثاني

آيات نزلت لتثبيته - صلى الله عليه وسلم- عن طريق تسليته بقصص السابقين.

الموضع الأول

قال- تعالى-: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة الأنعام التي هي من القرآن المكي التي ركزت على إقامة الأدلة على وحدانية الله وقدرته، وأنه سبحانه- هو المستحق للعبادة والخضوع، وأن شريعته وحدها هي التي يجب أن تكون مرجعنا في كل ما يتعلق بعبادتنا ومعاملاتنا وسائر شئوننا.

وركزت على إقامة الأدلة على صدق النبي-ﷺ- في دعوته، مع بيان وظيفته وتسليته عما يلاقيه من أعدائه.

وركزت على إقامة الأدلة على أن يوم القيامة حق، وعلى أن الناس سيحاسبون فيه على أعمالهم، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

وكذلك ركزت على تفنيد الشبهات التي أثارها المشركون حول هذه الأمور الثلاثة السابقة بأسلوب يقنع العقول، ويهدى القلوب، ويرضى العواطف، ويحمل العقلاء على المسارعة إلى الدخول في هذا الدين عن طواعية واختيار. (٢)

(١)- سورة الأنعام: الآيتان (٣٣-٣٤).

(٢)- التفسير الوسيط للقرآن الكريم/للدكتور طنطاوي: ٢٣/٥. بتصرف يسير.

التفسير الإجمالي للآيتين

إننا نعلم أنه ليحزنك أيها النبي ما يقوله الكفار تكذيباً لك، فلا تحزن من ذلك؛ لأن الحقيقة أنهم لا يتهمونك بالكذب، ولكنهم لظلمهم لأنفسهم وللحق يكابرون، فينكرون بألسنتهم دلائل صدقك، وعلامات نبوتك.

ولقد قوبل رسل من قبلك بالتكذيب والإيذاء من أقوامهم، كما فعل معك قومك، فصبروا على التكذيب والإيذاء حتى نصرناهم، فاصبر كما صبروا حتى يأتيك نصرنا، ولا مغير لوعد الله بنصر الصابرين، فلا بد من تحققه. ولقد قصصنا عليك من أخبار هؤلاء الرسل وتأييدنا لهم، ما فيه تسلية لك، وما توجبه الرسالة من تحمل الشدائد. (١).

من أقوال المفسرين

يقول الإمام أبو السعود– رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ﴾ استئنافٌ مَسوقٌ لتسليةِ رسولِ الله–ﷺ– عن الحزن الذي يعتريه مما حُكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانة من الله – عز وجل– وأن ما يفعلونه في حقه فهو راجعٌ إليه– تعالى– في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشدَّ انتقام ... وقوله– تعالى–: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ تعليل لما يشعر به الكلامُ السابق من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعدِّه هيناً والإقبالِ التام على ما هو أهمُّ منه من استعظام جحودهم بآيات الله– عزَّ وجلَّ– كما قيل فإنه مع كونِه بمعزلٍ من التسلية بالكلية مما يوهم كونَ حزنه – عليه الصلاة والسلام– لخاصة نفسه بل بطريق التسلِّي بما يفيده من بلوغه– عليه الصلاة والسلام– في جلالة القَدْرِ ورِفعة المحل والزُلفى من الله

(١)– المنتخب في تفسير القرآن الكريم: صـ/١٧٧.

-عز وجل- إلى حيث لا غايةَ وراءَه حيثُ لم يقتصر على جعل تكذيبه -ﷺ- تكذيباً لآياته- سبحانه- على طريقة قوله- تعالى-: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[1]... ثم قال- رحمه الله- في قوله- تعالى- : ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ ﴾ افتنانٌ في تسليته - عليه الصلاة والسلام- فإن عمومَ البلية ربما يهوِّنُ أمرَها بعضَ تهوين، وإرشادٌ له - عليه الصَّلاةُ والسلام- للاقتداءِ بمن قبلَه من الرسلِ الكرام - عليهم الصلاة والسلام- في الصبر على ما أصابهُم من أممهم من فنون الأَذِيَّة، وعِدَةٌ ضمنية له عليه الصلاة والسلام بمثل ما مُنِحوه من النصر وتصديرُ الكلام بالقسم لتأكيد التسلية وتنوينُ ﴿ رُسُلٞ ﴾ للتفخيم والتكثير و ﴿ مِّن ﴾ إما متعلقةٌ بـ ﴿ كُذِّبَتۡ ﴾ أو بمحذوف وقع صفة لـ ﴿ رُسُلٞ ﴾ أي: وبالله لقد كذِّبت من قبل تكذيبك رسلٌ أول شأنٍ خطير وذوُو عددٍ كثير أو كُذبت رسل كانوا من زمان قبلَ زمانك ﴿ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ ﴾.[2].

وبين الإمام الشوكاني- رحمه الله- معنى الآية، فقال في قوله: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ ﴾ هذا الكلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله -ﷺ- عما ناله من الغم والحزن بتكذيب الكفار له، ودخول قد للتكثير فإنها قد تأتي لإفادته كما تأتي رب، والضمير في إنه للشأن، وقرئ بفتح الياء من يحزنك وضمها، وقرئ يكذبونك مشددا ومخففا، ومعنى يكذبونك على التشديد: ينسبونك إلى الكذب ويردون عليك ما قلته. ومعنى المخفف: أنهم لا يجدونك كذابا، يقال أكذبته: وجدته كذابا، وأبخلته: وجدته بخيلا.

(١)- سورة النساء: من الآية(٨٠).

(٢)- إرشاد العقل السليم: ١٢٧/٣-١٢٨. بتصرف يسير.

والمعنى: أن تكذيبهم ليس يرجع إليك فإنهم يعترفون لك بالصدق، ولكن تكذيبهم راجع إلى ما جئت به، ولهذا قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ ووضع الظاهر موضع المضمر؛ لزيادة التوبيخ لهم والإزراء عليهم، ووصفهم بالظلم لبيان أن هذا الذي وقع منهم ظلم بين. قوله: ﴿ وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ هذا من جملة التسلية لرسول الله– ﷺ – أي: أن هذا الذي وقع من هؤلاء إليك ليس هو بأول ما صنعه الكفار مع من أرسله الله إليهم، بل قد وقع التكذيب لكثير من الرسل المرسلين من قبلك فاقتد بهم ولا تحزن واصبر كما صبروا على ما كذبوا به وأوذوا حتى يأتيك نصرنا كما أتاهم فإنا لا نخلف الميعاد.(١).

وبين الإمام الطاهر بن عاشور– رحمه الله– المراد من قوله – تعالى–: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ فقال: استئناف ابتدائي قصدت به تسلية الرسول– ﷺ – وأمره بالصبر، ووعده بالنصر، وتأييسه من إيمان المتغالين في الكفر، ووعده بإيمان فرق منهم.(٢).

ورحم الله الإمام دروزة إذ يقول عند تفسيره لهذه الآية وما بعدها: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾

الآيات موجهة إلى النبي –ﷺ– بسبيل تثبيته وتسليته فالله– تعالى– يعلم أن ما يقوله الكفار له– من أنه مفتر ومن أنه شاعر ومن أنه كاهن ومن أنه ساحر– يحزنه ويؤلمه. ولكن ليس من داع إلى ذلك لأنهم لا يكذبونه هو بل يكذبون آيات الله ويجحدونها، ولذلك فهم خصماء الله وعليه جزاؤهم.

(١)– فتح القدير:٢/١٢٧–١٢٨. بتصرف يسير.

(٢)– التحرير والتنوير:٧/١٩٦.

وموقفهم هذا ليس بدعا إزاءه بخاصة. فقد كذبت رسل من قبله أيضا فصبروا على التكذيب والأذى حتى أتاهم نصر الله. وهذه هي سنة الله التي لا تتبدل. وقد عرفها مما جاء إليه من أنباء الرسل ومصائر الأمم في القرآن. وليس من موجب لتفكيره في صنع المستحيل كأن يحفر نفقا ينزل فيه إلى أعماق الأرض أو ينصب سلما يصعد فيه إلى أعالي السماء ليأتيهم بآية يقنعون بها بسبب ما يعظم عليه من إعراضهم ويشق عليه من عدم استجابتهم. فذلك من شأن الجهلاء الذين لا ينبغي أن يكون هو منهم. فلو شاء الله لجمعهم على الهدى. ولكن حكمته قضت بأن يكون الناس أصحاب اختيار حرّ ليستجيبوا إلى الدعوة أو يعرضوا عنها باختيارهم، والناس أقسام فمنهم ذوو قلوب حية، ومنهم ذوو قلوب ميتة. فالأولون يسمعون ويستجيبون إلى نداء الله ودعوته، أما الآخرون فهم بمثابة الموتى الذين لا يسمعون فلا يستجيبون للنداء. ومرجع هؤلاء إلى الله- تعالى- فسوف يبعثهم ثم يجزيهم بما يستحقون.(١).

وخلاصة ما سبق:

أن هاتين الآيتين فيهما دعوة الرسول-ﷺ- إلى عدم الحزن والغم بسبب ما يقال في حقه من أعدائه، وتسليته-ﷺ- وتثبيت لقلبه الشريف، وطمأنينة لنفسه-ﷺ- بقصص الأنبياء السابقين الذين تعرضوا لمثل ما تعرض له-ﷺ- فصبروا وتحملوا فنصرهم الله؛ فكن مثلهم، واقتد بهم، واعلم أن الله ناصرك ومؤيدك كما أيدهم ونصرهم.

فوائد من الآيتين

هاتان الآيتان وإن كان الخطاب فيهما للنبي-ﷺ- ولكن فيهما دعوة المسلمين عامة وأهل العلم خاصة إلى على عدم الحزن والهم والغم، وكذلك فيهما الدعوة إلى الاقتداء بالسابقين من الأنبياء والمرسلين والصالحين، الذين تحملوا ما تحملوا من إيذاءات كثيرة، فنصرهم الله على أعدائهم وكتب لهم الفلاح في الدنيا والآخرة.

(١)- التفسير الحديث:٤/٨٣-٨٤.

الموضع الثاني

قال- تعالى-: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة هود المكية التي نزلت تسلية له–ﷺ– بعد موت وزيرته زوجه خديجة – رضي الله عنها– وموت ناصره وعضده عمه أبي طالب، فكانت هذه الفترة من أصعب الفترات عليه–ﷺ– فثبته ربه وطمأن قلبه بقصص الأنبياء السابقين المذكورين في هذه السورة وأمثالها.

التفسير الإجمالي للآية

بعد أن قص الله– سبحانه وتعالى– في هذه السورة قصص أشهر الرسل وعاقبتهم مع أممهم من نجاة المؤمنين، وإهلاك المكذبين، ذكر في الآية فائدة ذكر هذه القصص.

والمعنى: وكل نبأ من أنباء هؤلاء الرسل مع أممهم نقص عليك يا محمد ونخبرك بما نثبت به فؤادك، حيث تدرك منه أنك لست وحدك الرسول الذي كفر به قومه، فكل الرسل كانوا كذلك فصبروا حتى ظفروا بإعلاء كلمة الله، وهزيمة الشرك ودك معالمه، وإهلاك أهله، فإذا علمت أن الرسل من قبلك قاسوا ما تقاسى، هان عليك ما تقاسيه، فإن البلوى إذا عمت هانت، وإذا هانت عليك قوى قلبك واشتدت عزيمتك على المضي في سبيل ربك، وقوى احتمالك للإيذاء والصبر على أداء الرسالة، ولقد جاءك في هذا القصص من أنباء الرسل وأقوامهم بيان جامع للحق وللموعظة وتذكير المؤمنين، حيث يتعظون مما حل بالأمم السابقة من هلاك ودمار فيبتعدون عن أسبابه وموجباته.(٢).

---

(١)– سورة هود: الآية (١٢٠).

(٢)– التفسير الوسيط للقرآن الكريم: لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية =

من أقوال المفسرين

يقول الإمام السمرقندي– رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: قوله– تعالى–: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ يعني: ننزل عليك من أخبار الرسل ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ يقول: ما نشدد به قلبك ونحفظه، ونعلم أن الذي فُعِل بك قد فعل بالأنبياء قبلك.(١).

وفسر الإمام البغوي– رحمه الله– الآية، فقال: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ معناه: وكل الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل، أي: من أخبارهم وأخبار أممهم نقصها عليك، ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾، لنزيدك يقينا ونقوي قلبك، وذلك أن النبي– صلى الله عليه وسلم– إذا سمعها كان في ذلك تقوية لقلبه على الصبر على أذى قومه. ﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال الحسن وقتادة: في هذه الدنيا. وقال غيرهما: في هذه السورة. وهو قول الأكثرين، خص هذه السورة تشريفا، وإن كان قد جاءه الحق في جميع السور. ﴿ وَمَوْعِظَةٌ ﴾ ، أي: وجاءتك موعظة، ﴿ ذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.(٢).

ورحم الله العلامة ابن الخطيب إذ يقول عند تفسيره لهذه الآية: اعلم أنه – تعالى– لما ذكر القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر في هذه الآية نوعين من الفائدة.

الفائدة الأولى: تثبيت الفؤاد على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى، وذلك لأن الإنسان إذا ابتلي بمحنة وبلية فإذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه، كما يقال: المصيبة إذا عمت خفت، فإذا سمع الرسول هذه

=

بالأزهر: ٤/٢٧٠

(١)– بحر العلوم: ٢/١٧٦.

(٢)– معالم التنزيل: ٢/٤٧٢.

القصص، وعلم أن حال جميع الأنبياء صلوات الله عليهم مع أتباعهم هكذا، سهل عليه تحمل الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه.

والفائدة الثانية: قوله: ﴿ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾وفي قوله: ﴿ فِي هَٰذِهِ ﴾ وجوه، أحدها: في هذه السورة. وثانيها: في هذه الآية. وثالثها: في هذه الدنيا، وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضع. واعلم أنه لا يلزم من تخصيص هذه السورة بمجيء الحق فيها أن يكون حال سائر السور بخلاف ذلك، لاحتمال أن يكون الحق المذكور في هذه السورة أكمل حالا مما ذكر في سائر السور، ولو لم يكن فيها إلا قوله: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[1] لكان الأمر كما ذكرنا، ثم إنه– تعالى– بين أنه جاء في هذه السورة أمور ثلاثة الحق والموعظة والذكرى.

أما الحق: فهو إشارة إلى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة.

وأما الذكرى: فهي إشارة إلى الإرشاد إلى الأعمال الباقية الصالحة.

وأما الموعظة: فهي إشارة إلى التنفير من الدنيا وتقبيح أحوالها في الدار الآخرة، والمذكرة لما هنالك من السعادة والشقاوة، وذلك لأن الروح إنما جاء من ذلك العالم إلا أنه لاستغراقه في محبة الجسد في هذا العالم نسي أحوال ذلك العالم فالكلام الإلهي يذكره أحوال ذلك العالم، فلهذا السبب صح إطلاق لفظ الذكر عليه.

ثم هاهنا دقيقة أخرى عجيبة: وهي أن المعارف الإلهية لا بد لها من قابل ومن موجب، وقابلها هو القلب، والقلب ما لم يكن كامل الاستعداد لقبول تلك المعارف الإلهية والتجليات القدسية، لم يحصل الانتفاع بسماع الدلائل، فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكر إصلاح القلب، وهو تثبيت الفؤاد، ثم لما ذكر

(١)– سورة هود: الآية (١١٢).

صلاح حال القابل، أردفه بذكر الموجب، وهو مجيء هذه السورة المشتملة على الحق والموعظة والذكرى، وهذا الترتيب في غاية الشرف والجلالة.(١).

وقال الإمام العليمي- رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَكُلًّا ﴾ أي: كلَّ نبأٍ ﴿ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ أخبارِهم. ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أي: لنثبتَ، أي: نسكِّنَ بهِ فؤادكَ؛ لتزدادَ يقينًا، ويقوى قلبُك. (٢).

وخلاصة القول:

أن هذه الآية تثبت الرسول-ﷺ- وتسكن قلبه ، وتذكره بحال الأنبياء السابقين له حتى يعلم الرسول الأمين-ﷺ- أن حاله كحالهم، فيصبر ويتحمل الأذى والضيق، ويترك الحزن والغم ؛ لأن هذه القصص حق فهي من الله – تعالى- وعاقبة الأنبياء أن ينصرهم ربهم على أعدائهم.

فوائد من الآية

هذه الآية تخاطب النبي-ﷺ- ولكنها تذكرنا بقصص أنبياء الله ورسله-عليهم السلام – وتبين لنا أحوالهم مع أقوامهم وتأييد الله لهم وإظهارهم على من خالفوهم وعاندوهم، فالعاقبة دائما تكون للمتقين، فإذا ما تعرض المرء لأمر يحزنه ويضايقه ويسبب له الهم والحزن؛ فعليه بمطالعة قصص السابقين المصطفين الأخيار، ففي قصصهم عبرة لأولى الأبصار، وتسلية لنفوس الأطهار في هذه الدار؛ حتى ينالوا الأجر من ربهم في دار القرار.

(١)- مفاتيح الغيب:١٨/٤١٢-٤١٣.

(٢)- فتح الرحمن:٣/٣٨٥- ٣٨٦.

الموضع الثالث

قـــال– تعـــالى–: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[1].

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة الصافات المكية التي نزلت بعد سورة الأنعام، واهتمت سورة الصافات بذكر الأدلة على وحدانية الله – تعالى– وأنه رب المشارق والمغارب، ثم قارنت بين هذا النعيم الذي ينعم به المؤمنون، وبين العذاب الذي يشقى به الكافرون فهم في نار جهنم، ثم ذكرت بعضا من قصص الأنبياء– عليهم السلام– ثم طمأنت النبي–ﷺ– بنصر الله – تعالى– له كما نصر الله– تعالى– السابقين من أنبيائه ورسله. [2].

التفسير الإجمالي للآيات

ولقد سبقت كلمتنا – التي لا مردَّ لها– لعبادنا المرسلين، أن لهم النصرة على أعدائهم بالحجة والقوة، وأن جندنا المجاهدين في سبيلنا لهم الغالبون لأعدائهم في كل مقام باعتبار العاقبة والمآل.[3].

من أقوال المفسرين

قال الإمام الرازي– رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآيات: اعلم أنه– تعالى– لما هدد الكفار بقوله– تعالى–: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[4] أي: عاقبة كفرهم أردفه بما يقوي قلب الرسول– ﷺ– فقال: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ

(١)– سورة الصافات: الآيات (١٧١–١٧٣).

(٢)– التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر:٣٩٦/٨. بتصرف.

(٣)– التفسير الميسر: صـ/٤٥٢.

(٤)– سورة الصافات: من الآية (١٧٠).

﴿ٱلْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ فبين أن وعده بنصرته قد تقدم والدليل عليه قوله – تعالى–: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾[١] وأيضا أن الخير مقضي بالذات والشر مقضي بالعرض، وما بالذات أقوى مما بالعرض، وأما النصرة والغلبة فقد تكون بقوة الحجة، وقد تكون بالدولة والاستيلاء، وقد تكون بالدوام والثبات فالمؤمن وإن صار مغلوبا في بعض الأوقات بسبب ضعف أحوال الدنيا فهو الغالب، ولا يلزم على هذه الآية أن يقال: قد قتل بعض الأنبياء وهزم كثير من المؤمنين.[٢].

ويقول الإمام المراغي– رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآيات: أي: ولقد سبق وعدنا أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة، فننصرهم على أعدائهم بقهرهم والنيل منهم، بقتلهم أو تشريدهم أو إجلائهم عن الأوطان أو أسرهم أو نحو ذلك. [٣].

وذكر الدكتور عبد الكريم الخطيب – رحمه الله– المراد من هذه الآيات، فقال: الآيات تهديد للكافرين، وإنذار لهم بهذا الوعد الكريم، الذي وعد الله به رسله بالنصر والغلب... فهذا الصراع الدائر بينهم وبين النبي– صلوات الله وسلامه عليه– سينتهى آخر الأمر بنصر الله للنبي وللمؤمنين معه، على هؤلاء المشركين... فتلك سنة الله فيما بين الرسل وأقوامهم... وكلمة الله التي سبقت، هي ما أشار إليه– سبحانه– في قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ وفى قوله– تعالى–: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ إشارة إلى أن المؤمنين هم جند الله، وان الله لن يتخلّى عن جنده الذين يقاتلون في سبيله، ويدافعون عن دينه، وما نزل من الحق.[٤].

(١)– سورة المجادلة: من الآية (٢١).
(٢)– التفسير الكبير: ٣٦٣/٢٦.
(٣)– تفسير المراغي:٩١/٢٣.
(٤)– التفسير القرآني للقرآن:١٠٤٢/١٢.

ورحم الله العلامة الطاهر بن عاشور إذ يقول عند تفسيره لهذه الآيات: تسلية للنبيء –ﷺ– على ما تضمنه قوله: ﴿ فَكَفَرُواْ بِهِۦ ﴾[1] وبيان لبعض الوعيد الذي في قوله: ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ بمنزلة بدل البعض من الكل ولكنه غلب عليه جانب التسلية؛ فعطف بالواو عطف القصة على القصة.

والكلمة مراد بها الكلام، عبر عن الكلام بكلمة؛ إشارة إلى أنه منتظم في معنى واحد دال على المقصود دلالة سريعة، فشبه بالكلمة الواحدة في سرعة الدلالة وإيجاز اللفظ كقوله– تعالى–: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ﴾[2] وقول النبيء–ﷺ–: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لَبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»[3]

وبينت الكلمة بجملة ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ أي: الكلام المتضمن وعدهم بأن ينصرهم الله على الذين كذبوهم وعادوهم، وهذه بشارة للنبيء–ﷺ– عقب تسليته؛ لأنه داخل في عموم المرسلين.

وعطف ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ بشارة للمؤمنين فإن المؤمنين جند الله، أي: أنصاره لأنهم نصروا دينه وتلقوا كلامه، كما سموا حزب الله في قوله: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[4] إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾[5] إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[6]. وقوله: ﴿ لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾يشمل علوهم على عدوهم

(١)– سورة الصافات: من الآية (١٧٠).
(٢)– سورة المؤمنون: من الآية (١٠٠).
(٣)– أخرجه البخاري في صحيحه– كتاب: مناقب الأنصار– باب: أيام الجاهلية– ٥/٤٢،ح(٣٨٤١)،وأخرجه مسلم في صحيحه– كتاب: الشعر– ٤/١٧٦٨،ح(٢٢٥٦).
(٤)– سورة المجادلة: من الآية (٢١).
(٥)– سورة المجادلة: من الآية (٢٢).
(٦)– سورة المجادلة: من الآية (٢٢).

في مقام الحجاج وملاحم القتال في الدنيا، وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال – تعالى–: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾[1] فهو من استعمال غالبون في حقيقته ومجازه. ومعنى (المنصورون وغالبون) في أكثر الأحوال وباعتبار العاقبة، فلا ينافي أنهم يغلبون نادرا ثم تكون لهم العاقبة، أو المراد النصر والغلبة الموعود بهما قريبا وهما ما كان يوم بدر.[2].

وخلاصة ما سبق:

أن هذه الآيات تثبت قلب الرسول–ﷺ– بوعد الله له بالنصر والغلبة على الأعداء فهذه سنة الله في عباده الصالحين أنه ينصرهم على أعدائهم.

فوائد من الآيات

هذه الآيات تخاطب النبي–ﷺ– ولكنها تحمل البشرى لكل المؤمنين الموحدين بنصر الله وتمكينهم على أعدائهم ؛لأنهم جند الله، ومتبعون لأوامره، ومنتهون عن نواهيه، فيا من تسير في طريق الله ولله وبالله، اعلم أن الله معك وناصرك ومؤيدك فأبشر بالخير، وظن بربك خيرا؛ فلن تجد إلا خيرا.

(١)– سورة البقرة: من الآية (٢١٢).

(٢)– التحرير والتنوير:٢٣/١٩٤–١٩٥.

الموضع الرابع

قـــــال- تعـــــالى-: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴾[1].

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة غافر وهي من القرآن المكي ، ونزلت بعد سورة الزمر، والناظر في سورة «غافر» بتدبر يراها قد أقامت أنصع الأدلة وأقواها على وحدانية الله– تعالى– وقدرته، كما يراها قد ساقت ألوانا من التسلية للرسول–ﷺ– عما لحقه من قومه، تارة عن طريق قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم، وتارة عن طريق التصريح بأن العاقبة ستكون له ولأتباعه، كما يراها قد فصلت الحديث عن تكريم الله– تعالى– لعباده المؤمنين، تارة عن طريق استغفار الملائكة لهم، وتضرعهم إلى خالقهم أن يبعد الذين آمنوا عن عذاب الجحيم.

وتارة عن طريق وعدهم بإجابة دعائهم، كما يرها قد اهتمت بالحديث عن مصارع الغابرين، بأسلوب يغرس الخوف في القلوب، ويبعث على التأمل والتدبر.

كما يراها قبل كل ذلك وبعد كل ذلك لها أسلوبها البليغ المؤثر في إحقاق الحق وإبطال الباطل، وفي تثبيت المؤمن وزلزلة الكافر، وفي تعليم الدعاة كيف يخاطبون غيرهم بأسلوب مؤثر حكيم، نراه متمثلا في تلك النصائح الغالية التي وجهها مؤمن آل فرعون إلى قومه [2].

(١)– سورة غافر: الآية (٥١).

(٢)– التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ د: محمد سيد طنطاوي:١٢/٢٥٧–٢٥٨. بتصرف.

التفسير الإجمالي للآية

إنا لننصر رسلنا والمؤمنين في الحياة الدنيا بالانتقام من أعدائهم، وإقامة الحُجة عليهم، وفى يوم القيامة يوم يقوم الشهود يشهدون للرسل بالتبليغ، ويشهدون على الكفرة بالتكذيب.(١).

من أقوال المفسرين

ذكر الإمام ابن الجوزي– رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ثلاثة أقوال، **أحدها:** أن ذلك بإثبات حُججهم.

والثاني: بإهلاك عدوِّهم. **والثالث:** بأن العاقبة تكون لهم.

وفصلُ الخطاب: أنّ نصرهم حاصل لا بدّ منه، فتارة يكون بإعلاءِ أمرهم كما أعطى داود وسليمان من المُلك ما قهرا به كلّ كافر، وأظهر محمّدا– ﷺ – على مكذِّبيه، وتارة يكون بالانتقام من مكذِّبيهم بإنجاء الرسل وإهلاك أعدائهم، كما فعل بنوح وقومه وموسى وقومه، وتارة يكون بالانتقام من مكذِّبيهم بعد وفاة الرُّسل، كتسليطه "بختنصر"(٢) على قَتَلَة يحيى بن زكريا.

---

(١)– المنتخب في تفسير القرآن الكريم: صـ/٧٠٠.

(٢) – **بُختنَصَّر**: ملك من ملوك بابل، كان في بداية أمره صعلوقا، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس، فوطئ الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرب بيت المقدس وأمر جنوده، فحملوا التراب وألقوه فيه حتى ملئوه، ثم انصرف راجعا إلى بابل وأخذ معه سبايا بني إسرائيل، ثم إن بختنصر عاد إلى بابل وأقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم. واختلف في سبب قتله، **فقيل:** إن الله أرسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه، فكان لا يقر ولا يسكن حتى يدق رأسه، فلما حضره الموت قال لأهله: شقوا رأسي فانظروا ما هذا الذي قتلني، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة بأم رأسه، ليري الله العباد قدرته وسلطانه وضعف بختنصر، لما تجبر قتله بأضعف مخلوقاته، تبارك الذي بيده ملكوت كل شيء يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

ينظر: الكامل في التاريخ / لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، ١/ ٢٣٢–٢٣٣. بتصرف يسير. ط: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م– =

وأمّا نصرهم يوم يقوم الأشهاد، فإن الله منجيهم من العذاب، وواحد الأشهاد شاهد، كما أن واحد الأصحاب صاحب.

وفي الأشهاد ثلاثة أقوال، **أحدها:** الملائكة، شهدوا للأنبياء بالإبلاغ وعلى الأُمم بالتكذيب، قاله مجاهد، والسدي. قال مقاتل: وهم الحَفَظة من الملائكة.

والثاني: الملائكة والأنبياء، قاله قتادة. **والثالث:** أنهم أربعة: الأنبياء والملائكة والمؤمنون والجوارح، قاله ابن زيد. (١).

وبين الإمام البيضاوي– رحمه الله– تفسير الآية، فقال: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة. ﴿ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴾ أي: في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لأعدائهم عليهم من الغلبة أحياناً إذ العبرة بالعواقب وغالب الأمر، و﴿ الْأَشْهَٰدُ ﴾ جمع شاهد كصاحب وأصحاب، والمراد بهم: من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والأنبياء والمؤمنين. (٢).

ورحم الله العلامة دروزة حيث قال عند تفسيره لهذه الآية وما بعدها: والآيات استمرار للتعقيب على الفصل القصصي كما هو واضح. وقد استهدفت تطمين النبي والمؤمنين وتثبيتهم وبعث الأمل، والوثوق في نفوسهم إزاء ما يلقونه من عنت الكفار وبغيهم. ولقد سبق تطمين قوي مثل هذا التطمين في سورة الصافات التي نزلت قبل قليل من هذه السورة حيث يمكن القول: إن ظروف السيرة في مكة كانت تقتضي مواصلة ذلك. وإنه كان من عوامل ما كان يبدو من النبي–ﷺ– وصحبه الأولين من قوة وثبات وجرأة ويقين

=

ت: عمر عبد السلام تدمري.

(١)– زاد المسير: ٤/٤١.

(٢)– تفسير البيضاوي:٥/٦٠.

واستغراق في الله ودينه ودعوته. ونكرر هنا ما قلناه قبل من أن الله- تعالى- قد حقق وعده للنبي والمؤمنين فعلا فنصرهم الله، وصارت كلمته هي العليا، وتحققت بذلك المعجزة القرآنية.

ومع خصوصية هذا التطمين وصلته بسيرة النبي-ﷺ- فإنّ في إطلاق العبارة القرآنية تلقينا جليلا مستمر المدى يستمد منه كل مؤمن يدعو إلى الله ودينه ومبادئه السامية ويناضل في سبيلها اليقين والقوة والجرأة، ويجعله يستبشر بنصر الله وتأييده إذا ما كانت دعوته ونضاله بصدق وإخلاص. (١).

وقال الإمام الطاهر بن عاشور- رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ كلام مستأنف وهو استخلاص للعبرة من القصص الماضية مسوق لتسلية الرسول-ﷺ- ووعده بحسن العاقبة، وتسلية المؤمنين ووعدهم بالنصر وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة. (٢).

وجملة القول:

أن هذه الآية تعد الرسول-ﷺ- بالنصر هو وأنصاره من المؤمنين في الدنيا والآخرة . وهذا الوعد من قبل الله- تعالى- فيه تثبيت لقلب النبي -ﷺ- وطمأنته وتقويته.

فوائد من الآية

هذه الآية تخاطب النبي-ﷺ- وتعده والمؤمنين بالنصر، وكذلك أيضا تحمل رايات البشرى لكل المؤمنين المتبعين لرسول الله-ﷺ- بنصر الله لهم وتأييديهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة.

(١)-التفسير الحديث:٤/٣٧٧.

(٢)- التحرير والتنوير:٢٤/١٦٧.

الموضع الخامس

قال– تعالى–: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة المجادلة وهي من القرآن المدني ، ونزلت بعد سورة المنافقون، والمتدبر لسورة «المجادلة» يراها قد عنيت ببيان الأحكام التشريعية، وقد تضمنت حكم الظهار وكفارته، وحكم التناجي، وأدب المجالس، وتقديم الصدقة في بدء الأمر قبل مناجاة الرسول –ﷺ– وحكم المنافقين وجزائهم وتكذيبهم ووصفهم بأنهم حزب الشيطان، وموادة أعداء الله وموالاتهم. وتميزت الآيات كلها في هذه السورة باشتمال كل آية على لفظ الجلالة: (الله)؛ لتربية المهابة منه في النفوس، وعدم التجرؤ على مخالفة أحكامها. (٢).

التفسير الإجمالي للآية

كتب الله في اللوح المحفوظ وحَكَم بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين. إن الله– سبحانه– قوي لا يعجزه شيء، عزيز على خلقه.(٣).

من أقوال المفسرين

قال الإمام السمرقندي– رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ قوله– تعالى–: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾يعني: قضى الله﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ يعني: لأغلبن في الدنيا بالحجة والدلائل في الآخرة، ويقال: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ ﴾ يعني: لأقهرن أنا ورسلي، فتكون العاقبة للمؤمنين. ﴿ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ويقال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ يعني: قضى الله ذلك قضاء ثابتاً ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ ، وغلبة الرسل تكون على نوعين: من بعث

(١)– سورة المجادلة: الآية (٢١).
(٢)– التفسير المنير:٦/٢٨. بتصرف.
(٣)– التفسير الميسر: صـ/٥٤٤.

منهم في الحرب، فغلب في الحرب ومن بعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي: مانع حزبه من أن يذل، والعزيز: الذي لا يغلب ولا يقهر. (١).

ويقول الإمام ابن كثير – رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ أي: قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع، ولا يبدل، بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن العاقبة للمتقين، كما قال– تعالى–: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ وقال هنا ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي: كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه. وهذا قدر محكم وأمر مبرم، أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة. (٢).

وبين الإمام المحلي – رحمه الله– المراد من الآية، فقال: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ أَوْ قَضَى ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ بالحجة أو السيف ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٣).

ورحم الإمام الألوسي إذ يقول عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ ﴾ استئناف وارد لتعليل كونهم في الأذلين، أي: أثبت في اللوح المحفوظ أو قضى وحكم. **وعن قتادة، قال:** وأيا ما كان فهو جار مجرى القسم فلذا قال– سبحانه–: ﴿ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ﴾ أي: بالحجة والسيف وما يجري مجراه أو بأحدهما، ويكفي في الغلبة بما عدا الحجة تحققها للرسل– عليهم السلام– في أزمنتهم غالبا فقد أهلك – سبحانه– الكثير من أعدائهم بأنواع العذاب كقوم

(١)– بحر العلوم: ٣/٤٢٠.
(٢)– تفسير ابن كثير: ٨/٥٣–٥٤.
(٣)– تفسير الجلالين: صـ/٧٢٩.

نوح وقوم صالح وقوم لوط وغيرهم، والحرب بين نبينا– صلّى الله تعالى عليه وسلم– وبين المشركين وإن كان سجالا إلا أن العاقبة كانت له– عليه الصلاة والسلام– وكذا لأتباعهم بعدهم لكن إذا كان جهادهم لأعداء الدين على نحو جهاد الرسل لهم بأن يكون خالصا لله– عز وجل– لا لطلب ملك وسلطنة وأغراض دنيوية، فلا تكاد تجد مجاهدا كذلك إلا منصورا غالبا، وخص بعضهم الغلبة بالحجة لا طرادها وهو خلاف الظاهر، ويبعده سبب النزول، فعن مقاتل لما فتح الله– تعالى– مكة للمؤمنين والطائف وخيبر وما حولها قالوا: نرجو أن يظهرنا الله– تعالى– على فارس والروم فقال عبد الله بن أبيّ: أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك فنزلت ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾على نصر رسله ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يغلب على مراده– عز وجل–. (١).

وخلاصة ما سبق:

أن هذه الآية تبين حكم الله وقضاءه في نصرة الرسول–ﷺ– في الدنيا والآخرة . وهذا الحكم الإلهي فيه تثبيت للنبي–ﷺ– وتقوية لقلبه.

فوائد من الآية

هذه الآية تخاطب النبي–ﷺ– وتبشره بنصر الله– تعالى– له كما نصر رسله السابقين، وأيضا فيها بشرى لمن يتبع النبي الأمين بنصر الله رب العالمين له في الدنيا والدين ما دامت النية خالصة لله – سبحانه–.

(١)– روح المعاني:١٤/٢٢٨.

المطلب الثالث

الآيات التي نزلت لتثبيته- صلى الله عليه وسلم- عن طريق وعيد المكذبين له.

الموضع الأول

قال- تعالى-: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة يونس المكية التي نزلت وقت تعرض النبي -ﷺ- للأذى من قومه، بل من أقرب الناس إليه، فأنزل الله عليه القرآن ليثبت نبيه الأمين ويبشره بأنه ناصره على أعدائه، فسيرى مصارع بعضهم في حياته-ﷺ-والبعض الآخر فسيعذبه ربه بعد وفاته-ﷺ- وبعضهم يؤجل عذابه ليوم الحسرة والندامة.

التفسير الإجمالي للآية

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴾ أي: وإن أريناك بعض ما نعدهم من العقاب في الدنيا، فذاك الذي يستحقونه وهم له أهل، وقد أراه ما نزل بهم من القحط والمجاعة بدعائه-ﷺ- عليهم، ونصره عليهم نصرا مؤزّرا في أول معركة هاجمه بها رؤساؤهم وصناديدهم وهى غزوة بدر فقتلّهم وشرّدهم شر تقتيل وتشريد، وكذلك فعل بهم -ﷺ- في غيرها من الغزوات حتى فتح عاصمتهم أمّ القرى ودخل الناس في الدين أفواجا.

﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ أي: أو نتوفينك هم قبل أن نريك ذلك فيهم فمصيرهم بكل حال إلينا، وآنئذ سيلقون من الجزاء ما يعلمون به صدق وعيدنا.

(١)- سورة يونس: الآية (٤٦).

﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾ فيجزيهم به على علم وشهادة حق. (١).

من أقوال المفسرين

قال الإمام الطبري– رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ ﴾ يا محمد، في حياتك بعضَ الذي نعد هؤلاء المشركين من قومك من العذاب ﴿ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل أن نريك ذلك فيهم ﴿ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ ، يقول: فمصيرهم بكل حال إلينا، ومنقلبهم ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾ ، يقول جل ثناؤه: ثم أنا شاهد على أفعالهم التي كانوا يفعلونها في الدنيا، وأنا عالم بها لا يخفى عليّ شيء منها، وأنا مجازيهم بها عند مصيرهم إليّ ومرجعهم، جزاءهم الذي يستحقُّونه. (٢).

وذكر الإمام الخطيب الشربيني– رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية ما يلي: ﴿ وَإِمَّا ﴾ فيه إدغام إن الشرطية في ما الزائدة﴿ نُرِيَنَّكَ ﴾ يا محمد ﴿بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك﴿ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾قبل أن نريك ذلك الوعد في الدنيا فإنك ستراه في الآخرة وهو قوله تعالى: ﴿ فَإِلَيۡنَا ﴾بعد البعث﴿مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ فنريك هناك ما هو أقرّ لعينك وأسرّ لقلبك، وقوله– تعالى–: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾ فيه وعيد وتهديد لهم، أي: أنه– تعالى– شهيد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة. (٣).

وقال الإمام طنطاوي – رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: وقوله: ﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ تأكيد لخسرانهم، ولوقوع

(١)– تفسير المراغي: ١١٥/١١.
(٢)– تفسير الطبري: ٩٨/١٥.
(٣)– السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:٢٣/٢.

العذاب بهم، وتسلية للرسول-ﷺ- عما أصابه منهم و«إن» شرطية. و «ما» مزيدة لتأكيد معنى الشرط، وجملة ﴿ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ﴾ جواب للشرط وما عطف عليه.

والمعنى: إن هؤلاء المشركين الذين ناصبوك العداوة أيها الرسول الكريم لا يخفى علينا أمرهم ونحن إما نرينك ببصرك بعض الذي نعدهم به من العذاب الدنيوي، وإما نتوفينك، قبل ذلك، وفي كلتا الحالتين فإن مرجعهم إلينا وحدنا في الآخرة، فنعاقبهم العقوبة التي يستحقونها.

وقال- سبحانه-: ﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ للإشارة إلى أن ما ينزل بهم من عذاب دنيوي، هو جزء من العذاب المدخر لهم في الآخرة.

وقد أنجز الله- تعالى- وعده لنبيه-ﷺ- فسلط عليهم القحط والمجاعة، حتى كانوا لشدة جوعهم يرون كأن بينهم وبين السماء دخانا، ونصر المسلمين عليهم في غزوتي بدر والفتح، وكل ذلك حدث في حياة النبي -ﷺ-.

وقال- سبحانه-: ﴿ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ ولم يقل: بعض الذي وعدناهم؛ لاستحضار صورة العذاب، والدلالة على تجدده واستمراره.

أي: نعدهم وعدا متجددا على حسب ما تقتضيه حكمتنا ومشيئتنا، من إنذار عقب إنذار، ومن وعيد بعد وعيد.

والمراد من الشهادة في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ لازمها وهو المعاقبة والمجازاة، فكأنه- سبحانه- يقول: ثم الله- تعالى- بعد ذلك معاقب لهم على ما فعلوه من سيئات، وما يرتكبونه من منكرات.(١).

ويقول الشيخ الجزائري- رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: وقوله- تعالى-: ﴿ نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ أي: إن أريناك بعض الذي نعدهم من

(١)- التفسير الوسيط: ٧٩/٧.

العذاب في الدنيا فذاك، أو نتوفينك قبل ذلك فعلى كل حال مرجعهم إلينا جميعاً بعد موتهم، فنحاسبهم ونجازيهم بحسب سلوكهم في الدنيا الخير بالخير والشر بمثله، وقوله– تعالى–: ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ ﴾ تقرير وتأكيد لمجازاتهم يوم القيامة؛ لأن علم الله– تعالى– بأعمالهم وشهادته عليها كافٍ في وجوب تعذيبهم. (١).

وخلاصة ما سبق:

أن هذه الآية تبين للرسول–ﷺ– أن الله سينتقم من أعدائه المكذبين له –ﷺ– في الدنيا – في حياة النبي وبعدها– والآخرة . وهذا الوعد الإلهي فيه تثبيت للنبي–ﷺ– وتقوية لقلبه.

فوائد من الآية

هذه الآية تخاطب النبي–ﷺ– وتعده بانتقام الله من أعداء الإسلام وأعداء النبي –ﷺ– ، وأيضا فيها بشرى لمن يؤمن بهذا الدين الحنيف بأن الله منتقم من كل متطاول على دين الله في الدنيا والآخرة.

(١)– أيسر التفاسير:٢/٤٧٨.

الموضع الثاني

قال- تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع

هذا الموضع ورد في سورة الحجر المكية، التي تضمنت الحديث عن دلائل التوحيد، وأحوال القيامة، وصفة الأشقياء والسعداء، فثبتت المؤمنين وهددت الكافرين، وتضمنت بعض قصص الأنبياء، وأفضال الله على نبيه المصطفى -ﷺ- كتسليته-ﷺ- وطمأنة قلبه. (٢).

التفسير الإجمالي للآيات

هؤلاء المستهزئون بك يستحقون أكثر من ذلك فهم الذين يجعلون مع الله إلها آخر، ويشركون به من لا يملك ضرا ولا نفعا فسوف يعلمون عاقبة عملهم ونتيجة شركهم.

ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون، وتتحرج نفسك بما يعملون ولكن الدواء الناجح الذي به تطمئن القلوب وتهدأ النفوس، حتى تستعذب في سبيل الله كل عذاب، وتعده من أكبر النعم وتمام التطهير لها.

هذا الدواء هو التسبيح والتقديس والركوع والسجود، والإكثار من العبادة والاتصال بالله إذ هذه مطهرات للنفس مقويات للروح ومتى قويت الروح ضعفت النفس المادية التي تشعر بالألم والتعب والنصب إذا عملت في سبيل الله وهذا علاج نفيس يجب أن يتحلى به كل داعية إلى الله، وعامل في سبيل الله واعبد ربك أيها الرسول حتى يأتيك الأمر اليقين، وتلقى ربك، وإذا كان هذا هو توجيه

(١)- سورة الحجر: الآيات (٩٦-٩٩).

(٢)- التفسير المنير: ١٤/٧. بتصرف.

الله للنبي –ﷺ– الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فأين نحن؟! أين نحن؟! اللهم وفقنا واهدنا إلى سواء السبيل. (١).

من أقوال المفسرين

يقول الإمام ابن كثير– رحمه الله – عند تفسيره لهذه الآية: وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ تهديد شديد، ووعيد أكيد، لمن جعل مع الله معبودا آخر.

وقوله: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ أي: وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر. فلا يهيدنك ذلك، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل على الله؛ فإنه كافيك وناصرك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة. (٢).

وبين الإمام أبو السعود– رحمه الله– المراد بهذه الآية، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ ﴾ وصفهم بذلك تسلية لرسول الله–ﷺ– وتهويناً للخطب عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا على الاستهزاءِ به– عليه الصَّلاة والسلام– بل اجترأوا على العظيمة التي هي الإشراك بالله– سبحانه: ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ عاقبةَ ما يأتون ويذرون :﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ من كلمات الشِّرك والطعنِ في القرآن والاستهزاء به وبك وتحليةُ الجملة بالتأكيد لإفادة تحقيقِ ما تتضمنه من التسلية وصيغةُ الاستقبال لإفادة استمرارِ العلم حسب استمرارِ متعلَّقه باستمرار ما يوجبه من أقوال الكفرة. ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ فافزَع إلى الله– تعالى– فيما نابك من ضيق الصدرِ والحرَج بالتسبيح والتقديس ملتبساً بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه

(١)– التفسير الواضح:٢/٢٩٤–٢٩٥. بتصرف يسير.

(٢)– تفسير ابن كثير: ٤/٥٥٣.

الصلاة والسلام مالا يخفى من إظهار اللطفِ به- عليه الصلاة والسلام- والإشعارِ بعلة الحُكم أعني الأمرَ بالتسبيح والحمد : ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: المصلّين يكفيك ويكشِفِ الغمَّ عنك أو فنزِّهْه عما يقولون ملتبساً بحمده على أنْ هداك للحق المبين وعنه- عليه الصلاة والسلام- أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [١].

﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ ﴾ دُمْ على ما أنت عليه من عبادته تعالى وإيثارُ الإظهار بالعنوان السالف آنفاً لتأكيد ما سبق من إظهار اللطفِ به- عليه الصلاة والسلام- والإشعارِ بعلة الأمرِ بالعبادة ﴿حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ أي: الموتُ فإنه مُتيقَّنُ اللحوق بكل حي مخلوق وإسنادُ الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجِّهٌ إلى الحيّ طالبٌ للوصول إليه، والمعنى: دم على العبادة ما دمت حيًّا من غير إخلالٍ بها لحظة. [٢].

ووضح الإمام ابن عجيبة - رحمه الله- تفسير هذه الآيات، فقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ يعبدونه من دون الله ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم في الدارين.

ثم سلَّى نبيه عن أذاهم فقال: ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ في جانبنا من الشرك والطعن في القرآن، والاستهزاء بك، فلا تعبأ بهم، ولا تلتفت إليهم ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ﴾ أي: فنزه أنت ذاتنا وصفتنا، مكان مقالتهم فينا فإن مثلك منزهنا لا غير، ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ أي: المصلين، أو: فافزع إلى الله فيما

---

(١)- أخرج أبو داود في سننه-أبواب قيام الليل- باب: وقت قيام النبي- ﷺ- من الليل- ٣٥/٢،ح(١٣١٩) عن حُذَيْفَةَ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ- ﷺ - إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى» ، **وحسنه الألباني** وأخرجه أحمد في مسنده-حَدِيثُ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ عَنِ النَّبِيِّ- ﷺ - ٣٣٠/٣٨،ح (٢٣٢٩٩).

(٢)- إرشاد العقل السليم:٩٢/٥-٩٣.

نابك وضاق منه صدرك بالتسبيح والتحميد. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ من المصلين، يكفك، ويكشف الغم عنك، وعنه–ﷺ– :«أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة» أو: فنزهه عما يقولون، حامداً له على أن هداك للحق، وكن من الساجدين له شكراً.(١).

ورحم الله الدكتور الزحيلي إذ يقول عند تفسيره لهذه الآيات: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ أي: الذين يتخذون إلها آخر مع الله، فيشركون به من لا يضر ولا ينفع.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾عاقبة أمرهم ومآل شركهم ونتيجة كفرهم. وهذا تهديد ووعيد لهم بسوء المصير، لعلهم يرتدعون ويؤمنون.

ثم سلّى الله نبيه عما يصيبه من أذى المشركين فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ أي: وإنا لنعلم يا محمد أنك تتأذى من سخرية المشركين وشركهم، ويحصل لك ضيق صدر وانقباض، فلا يثنينك ذلك عن إبلاغ رسالة الله، وتوكل عليه، فإنه كافيك وناصرك عليهم، والجأ إليه لإزالة الانقباض والجزع. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾أي: فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة، وداوم على ذلك حتى يأتيك اليقين، أي الموت، وسمي الموت باليقين لأنه أمر متيقن، والدليل لهذا التأويل: قوله تعالى حكاية عن أهل النار: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾(٢).أي: الموت.

وهذا دليل على أن علاج ضيق الصدر هو التسبيح والتقديس والتحميد والإكثار من الصلاة. (٣).

(١)– البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ١٠٥/٣.
(٢)– سورة الحجر: الآيات (٤٣–٤٧).
(٣)– التفسير المنير:٧٤/١٤.

وخلاصة القول:

أن هذه الآيات تبين للرسول-ﷺ- أن عاقبة هؤلاء المشركين عند الله عظيمة بسبب أفعالهم، وتوضح له-ﷺ- الوسائل التي تعينه على انشراح صدره من الضيق الذي ألم به بسببهم؛ فأرشده ربه- عز وجل- إلى أن التسبيح والتحميد والتقديس والصلاة والدعاء أثناء السجود حتى الموت هي من تعينه على هذه المواقف الأليمة الشديدة على قلبه.

فوائد من الآيات

هذه الآيات وإن كان المخاطب فيها الرسول-ﷺ- ولكنها زاد لكل داع إلى الله وعون لكل سائر إلى الله، فطريق الدعوة بالصعوبات محاط، فتأتي على المرء أوقات يضيق صدره بما يلاقيه، فعليه أن يأخذ بهذا الدواء الرباني الذي وصي به ربنا- عز وجل- نبينا-ﷺ- فيكثر من التسبيح والتحميد والتقديس والصلاة والسجود، ويدعو ربه في سجوده فمن مواطن إجابة الدعاء ما كان في السجود بين يدي الله.

وأيضا هذا العلاج الرباني ليس للدعاة فقط ولكن لكل المسلمين، فكل إنسان تحدث له من الأمور العظام ما يضيق صدره بها فلا يكاد يتحملها، ولكن إن عمل بهذا الدواء الإلهي أعانه الله على ما يلاقيه من ضيق وهم وغم وحزن ومرض، وخاصة في زماننا هذا الذي كثرت فيه الأوبئة والأمراض وضاقت الصدور وتعبت الأبدان واشتكت العقول بسبب التفكير لإيجاد الحلول لما تجده من أمور عظام.

فما أحوجنا جميعا أن نكثر من ذكر الله، ومن تسبيحه وتحميده وتقديسه وتمجيده، ونحافظ على الصلوات، ونكثر من الدعوات ونحن بين يدي رب العباد؛ حتى يأتينا الموت الذي هو لا محالة آت، نسأل الله أن يرزقنا الثبات على الحق حتى الممات.

الموضع الثالث

قال– تعالى–: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع(٢)

هذا الموضع ورد في سورة آل عمران المدنية التي اهتمت بإثبات وحدانية الله– تعالى– وإقامة الأدلة الساطعة على ذلك، وإثبات أن الدين الحق الذي ارتضاه الله تعالى– لعباده هو دين الإسلام، الذي أرسل به نبيه محمدا –صلى الله عليه وسلم–.

وفصلت الحديث عن أحوال أهل الكتاب، بأسلوب مقنع حكيم يحق الحق ويبطل الباطل، وقد تحدثت السورة. أيضا عن المشركين وعن المنافقين إلا أن حديثها عن أهل الكتاب كان أكثر وأشمل.

وقد اهتمت اهتماما بارزا بتربية المؤمنين بتربية ينالون باتباعها النصر والسعادة في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة.

وعرضت السورة الكريمة أحداث غزوة أحد عرضا حكيما زاخرا بالعظات والعبر وفصلت الحديث عنها تفصيلا لا يوجد في غيرها من السور، وساقت ما دار فيها بأسلوب بليغ مؤثر يخاطب العقول والعواطف، ويكشف عن خفايا القلوب ونوازعها، وطوايا النفوس وخواطرها، ويعالج الأخطاء التي وقع فيها

---

(١)– سورة آل عمران: الآية (١٧٦).

(٢)– ونحو هذا الموضع كثير في القرآن، كقوله– تعالى–: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ الآية. [المائدة:٤١]، وقوله– تعالى–: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يونس:٦٥] وقوله– تعالى–: ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [لقمان:٢٣] وقوله– تعالى–: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [يس:٧٦].

بعض المسلمين حتى لا يعودوا لمثلها ويشجعهم على المضي في طريق الجهاد حتى لا يؤثر في عزيمتهم ما حدث لهم في أحد، ويبشرهم بأن الله- تعالى- قد عفا عمن فر منهم، ويذكرهم بمظاهر فضل الله عليهم خلال المعركة وبعدها، ويبصرهم بسنن الله التي لا تتخلف، وبقوانينه التي لا تتبدل، وبتعاليمه التي من سار عليها أفلح وانتصر، ومن أعرض عنها خاب وخسر.(١).

التفسير الإجمالي للآية

لا تحزن – أيها النبي – إذا رأيت الذين يزدادون كفراً ويسرعون بالانتقال من سيئ إلى أسوأ، فهم لن ينالوا اللَّه بأي ضرر، لأنه القاهر فوق عباده، بل يريد اللَّه ألا يجعل لهم نصيباً من ثواب الآخرة، ولهم فوق حرمانهم هذا الثواب الكريم عذاب عظيم. (٢).

من أقوال المفسرين

قال الإمام مكي بن أبي طالب – رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: قوله: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ الآية. المعنى: ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون في الكفر وهذا خطاب للنبي-ﷺ- ولأصحابه ﴿ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا ﴾ كما أن مسارعتهم إلى الإيمان لو سارعوا لم تكن نافعة لله تعالى، قال مجاهد: يعني بذلك المنافقين. وهذه الآية نزلت في قوم أسلموا ثم ارتدوا، فاغتم النبي -ﷺ- وأصحابه لذلك فأنزل الله – عز وجل-: ﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ الآية.(٣).

(١)- التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ للدكتور طنطاوي:١٢/٢-١٤. بتصرف.
(٢)- المنتخب في تفسير القرآن الكريم : صـ/٩٩.
(٣)- الهداية إلى بلوغ النهاية:١١٨٣/٢.

ويقول الإمام الخازن – رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: قوله – تعالى–: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ قيل: هم كفار قريش. وقيل: هم المنافقون ورؤساء اليهود. وقيل: هم قوم ارتدوا عن الإسلام، والمعنى: ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك، فإن هذا المقصود لا يحصل له، وقيل: مسارعتهم في الكفر ومظاهرتهم الكفار على النبي –ﷺ– والمعنى: يسارعون في نصرة الكفر، فلا يحزنك فعلهم فإنك منصور عليهم ﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ يعني: بمسارعتهم في الكفر إنما يضرون أنفسهم بذلك، وقيل: معناه لن يضروا أولياء الله شيئا ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ يعني: لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر. وفي الآية دليل على أن الخير والشرّ بإرادة الله– تعالى– وفيه رد على القدرية والمعتزلة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني: في الآخرة. (١).

وفسر الإمام الثعالبي– رحمه الله – هذه الآية، فقال: وقوله – سبحانه–: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ ، والمسارعة في الكُفْر: هي المبادرة إلى أقواله وأفعاله، والجِدُّ في ذلك، وسَلَّى اللَّه تعالى نبيَّه– عليه السلام– بهذه الآية عنْ حالِ المنافقين والمجاهِرين إذ كلُّهم مسارعٌ، وقوله– تعالى–: ﴿ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾ : خبرٌ في ضِمْنِهِ وعيدٌ لهم، أي: وإنما يضرُّون أنفسهم، والحَظُّ: إذا أطلق، فإنما يستعملُ في الخير. (٢).

وبين الإمام الخطيب الشربيني– رحمه الله– تفسير هذه الآية بقوله: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ أي: يقعون فيه وقوعاً سريعاً حرصاً عليه، وهم المنافقون من المتخلفين أو قوم ارتدوا عن الإسلام

(١)– لباب التأويل: ٣٢٣/١.

(٢)– الجواهر الحسان: ١٤٢/٢.

أي: لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾بفعلهم وإنما يضرّون به أنفسهم، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾أي: نصيباً ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة فلذلك خذلهم وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر ﴿وَلَهُمْ﴾ مع حرمان الثواب ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار. (١).

وجملة ما سبق:

أن هذه الآية تثبت الرسول –ﷺ– وتطمئن قلبه، وتدعوه إلى عدم الحزن بسبب هؤلاء الكافرين؛ لأنهم لن يضروا الله شيئا، ولا دينه، ولا أوليائه، فالله لم يجعل لهم نصيبا من الخير، بل أعد لهم عذابا عظيما، فاطمئن– يا محمد –ﷺ– وفوض أمرك إلى الله فإنه كافيكهم.

فوائد من الآية

هذه الآية وإن كان المخاطب فيها الرسول –ﷺ– ولكنها أيضا تعد هداية واطمئنانا وتثبيتا للمؤمنين الذين يبلغون دين الله، ويجدون في طريقهم ناسا غير مخلصين منافقين أو غيرهم، المهم: أنهم يريدون إضعاف شوكة الإسلام، وإطفاء نور هدايته.

فالواجب على المؤمنين في مثل هذا الموقف إذا ما أدوا ما عليهم فليتركوا الأمر لله، فهو ناصرهم على أعدائهم، ومثبت قلوب المؤمنين الموحدين.

(١)– السراج المنير: ١/٢٦٧.

الموضع الرابع

قال– تعالى–: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع(٢)

هذا الموضع ورد في سورة الأنفال المدنية التي تحدثت عن غزوة بدر، ومما اشتملت عليه السورة ما يلي:

١ – الحديث عن الغنائم، ومن له الحكم فيها.

---

(١)– سورة الأنفال: الآية (٦٤).

(٢)– ونحو هذا الموضع كثير في القرآن، كقوله– تعالى–: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الأنفال:٦٢] ، وقوله–تعالى– : ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩] وقوله– سبحانه– : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾[الزُّمر:٣٨] وقوله–تعالى–: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[المُلك:٢٩]وقوله– تعالى–: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[آل عمران:١٥٩] وقوله – تعالى–: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[النساء:٨١] وقوله– تعالى–: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[الأنفال:٦١] وقوله– تعالى–: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾[الرعد:٣٠] وقوله–تعالى–: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴾[الفرقان:٥٨] وقوله– تعالى–: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء:٢١٧] وقوله– تعالى–: ﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾[النمل:٧٩] وقوله– تعالى–: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[الأحزاب:٣] وقوله– تعالى–: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾[الأحزاب:٤٨] وقوله– تعالى–: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[الشورى:١٠]. وقوله– تعالى–: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾[آل عمران:١٧٣].

٢ – صفات المؤمنين الكاملين، وذكرت نعمة الله عليهم بإمداده إياهم بالملائكة تبشيرا لهم.

٣ – بيان حرمة الفرار من القتال إلا لخطة مرسومة كأن يكون الفار متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة، وبينت أن تقوى الله سبب للنصر وتكفير السيئات.

٤ – الأمر بطاعة الله ورسوله والنهي عن الإعراض عنه، وأرشدت إلى الاستجابة لأمر الله ورسوله قبل فوات الأوان.

٥ – وجوب اتقاء الفتن حتى لا تصيب الصالحين بشؤم الظالمين.

٦ – ذكر نعمة الله الخاصة برسوله –ﷺ– إذ نجاه من مكر الكافرين وكيدهم، وثبت ربه فؤاده–ﷺ– وطمأن المؤمنين بنصر الله لهم على أعدائهم.

٧ – بيان أن أسباب النصر على الأعداء: هي الثبات وذكر الله تعالى، وطاعة الله ورسوله، وعدم التنازع، والصبر، وترك الرياء والبطر، والتوكل على الله تعالى.

٨ – الجنوح للسلم متى جنح العدو لها لأن الحرب في الإسلام ضرورة تقدر بقدرها.(١).

التفسير الإجمالي للآية

المعنى: إن الله– تعالى– كاف لك كل ما يهمك من أمر الأعداء وغيرهم، وكاف لمن أيدك من المؤمنين. (٢).

من أقوال المفسرين

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: يحرض – تعالى– نبيه – صلوات الله وسلامه عليه– والمؤمنين على القتال ومناجزة

(١)– التفسير الوسيط/ مجمع البحوث الإسلامية : ٣/١٥٧٧–١٥٧٩. بتصرف.

(٢)– تفسير المراغي:١٠/٢٩. بتصرف يسير.

الأعداء ومبارزة الأقران، ويخبرهم أنه حسبهم، أي: كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم، وإن كثرت أعدادهم وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين.(١).

ووضح الإمام النسفي– رحمه الله– تفسير الآية، فقال: الواو بمعنى مع، وما بعده منصوب. والمعنى: كفاك وكفى اتبعاك من المؤمنين الله ناصراً، ويجوز أن يكون في محل الرفع، أي: كفاك الله وكافك أتباعك من المؤمنين.(٢).

ويقول الإمام الشوكاني – رحمه الله– عند تفسيره لهذه الآية: قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ ليس هذا تكريرا لما قبله، فإن الأول مقيد بإرادة الخدع وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هذه كفاية خاصة، وفي قوله: يا أيها النبي حسبك الله كفاية عامة غير مقيدة، أي: حسبك الله في كل حال، والواو في قوله: ومن اتبعك يحتمل أن تكون للعطف على الاسم الشريف. والمعنى: حسبك الله وحسبك المؤمنون، أي: كافيك الله، وكافيك المؤمنون، ويحتمل أن تكون بمعنى مع، كما تقول: حسبك وزيدا درهم، والمعنى: كافيك وكافي المؤمنين الله، لأن عطف الظاهر على المضمر في مثل هذه الصورة ممتنع، كما تقرر في علم النحو، وأجازه الكوفيون. قال الفراء: ليس بكثير في كلامهم أن تقول حسبك وأخيك، بل المستعمل أن يقال: حسبك وحسب أخيك بإعادة الجار، فلو كان قوله: ومن اتبعك مجرورا، لقيل: حسبك أو حسب من اتبعك. واختار النصب على المفعول معه النحاس. وقيل: يجوز أن يكون المعنى: ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله، فحذف الخبر. (٣).

ورحم الله الشيخ الجزائري حيث قال عند تفسيره لهذه الآية: ينادي الرب – تبارك وتعالى– رسوله بعنوان النبوة التي شرفه الله بها على سائر

(١)– تفسير القرآن العظيم:٤/٨٦.
(٢)– تفسير النسفي:١/٦٥٥.
(٣)– فتح القدير:٢/٣٦٩-٣٧٠.

الناس فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ويخبره بنعم الخبر مطمئناً إياه وأتباعه من المؤمنين بأنه كافيهم أمر أعدائهم فما عليهم إلا أن يقاتلوهم ما دام الله – تعالى– ناصرهم ومؤيدهم عليهم، فيقول: ﴿ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

وخلاصة ما سبق:

أن هذه الآية تثبت الرسول–ﷺ– وتطمئن قلبه في كل أحواله في الحرب وفي السلم؛ لأن من كان الله معه لا يضره أحد، فالله– عز وجل– هو الركن الشديد الذي يأوي إليه الإنسان عند الشدائد والمصاعب، فإذا ما كان الله هو ناصرك يا محمد –ﷺ– ومؤيدك بالمؤمنين المتبعين لك، فلن يغلبك أحد، وهذا وعد الله لك فليطمئن قلبك؛ لأن الله معك.

فوائد من الآية

هذه الآية وإن كان المخاطب فيها الرسول–ﷺ– ولكنها أيضا تحث المؤمنين وتدعوهم إلى التوكل على الله في جميع أحوالهم؛ لأن الإنسان إذا أخذ بالأسباب في أمور الدين والدنيا وتوكل على الله، فالله كافيه ومؤيده وناصره، فينبغي على العبد المسلم الذي يأخذ بالأسباب ويفوض النتائج إلى الله – تعالى– أن يكون مطمئن القلب؛ لأنه أسند أمره إلى ربه، فالله حسبنا ونعم الوكيل، ومولانا ونعم المولى، وناصرنا ونعم النصير.

(١)– أيسر التفاسير:٢/٣٢٦.

الموضع الخامس

قال– تعالى–: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾ (١).

تمهيد لهذا الموضع(٢)

هذا الموضع ورد في سورة الفرقان المكية، التي اشتملت على أمور، من أبرزها ما يلي:

(أ) أن السورة الكريمة قد ساقت ألوانا من الأدلة على قدرة الله– تعالى– وعلى وجوب إخلاص العبادة له، وعلى الثناء عليه– سبحانه– بما هو أهله.

(ب) أن السورة الكريمة زاخرة بالآيات التي تدخل الأنس والتسرية والتسلية والتثبيت على قلب النبي–ﷺ– بعد أن اتهمه المشركون بما هو بريء منه، وسخروا منه ومن دعوته، ووصفوا القرآن بأنه أساطير الأولين، واستنكروا أن يكون النبي من البشر.

(ج) أن السورة الكريمة مشتملة على آيات كثيرة، تبين ما سيكون عليه المشركون يوم القيامة من هم وغم وكرب وحسرة وندامة وسوء مصير، كما تبين ما أعده الله– تعالى– لعباده المؤمنين من عاقبة حسنة، ومن جنات تجرى من تحتها الأنهار.(٣).

---

(١)– سورة الفرقان: الآيات (٣٢–٣٤).

(٢)– ونحو هذا الموضع قوله– تعالى–: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴾[الإسراء:٧٢– ٧٤]

فهذه الآيات فيها تثبيت للنبي–ﷺ– وتهديد لمن عمي عن الحق واتبع الباطل في الدنيا فكذلك في الآخرة لن يكون مصيره إلا النار؛ لأنه لم يستجب لأوامر الله ورسوله، بل أعرض وصد عن سبيل الله واتبع الشيطان، فذلك هو الخسران المبين.

(٣)–التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ للدكتور طنطاوي:١٠/١٦٧–١٦٨. بتصرف يسير.

التفسير الإجمالي للآيات

وقال الذين كفروا: هلا أنزل القرآن على محمد جملة واحدة كالتوراة والإنجيل والزبور! قال الله- سبحانه وتعالى-: كذلك أنزلناه مفرقًا؛ لنقوِّي به قلبك وتزداد به طمأنينة، فتعيه وتحمله، وبيَّنَّاه في تثبت ومُهْلَة. ولا يأتيك - أيها الرسول - المشركون بحجة أو شبهة إلا جئناك بالجواب الحق وبأحسن بيان له أولئك الكفار هم الذين يُسحبون على وجوههم إلى جهنم، وأولئك هم شر الناس منزلة، وأبعدهم طريقًا عن الحق.(١).

من أقوال المفسرين

قال الإمام السمر قندي- رحمه الله- عند تفسيره لقوله- عز وجل-: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ ﴾ يعني: هلا ﴿ نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى- عليهما السلام-.

يقول الله- تعالى-: ﴿كَذَٰلِكَ ﴾ يعني: هكذا، أي: أنزلناه متفرقاً ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ يعني: لنحفظ، ويقوى به قلبك، ونفرحك، فلما دخل قلبه الغم نزلت عليه آية وآيتان، فيفرح بها. ويقال: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ يعني: ليكون قبوله على المسلمين أسهل؛ لأنه لو أنزلت الأحكام والشرائع كلها جملة واحدة، شق على المسلمين قبولها، كما شق على بني إسرائيل. ويقال: أنزلناه هكذا لنرسخ القرآن في قلبك، لكي تحفظ الآية والآيتين. ويقال: كَذلِكَ أنزلناه لتحكم عند كل حادثة، وعند كل واقعة، لتقوي به قلبك في ذلك. ثم قال: ﴿ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾ يعني: بيناه تبييناً. (٢).

وفسر الإمام القشيري - رحمه الله- هذه الآية، فقال: أي: إنما أنزلناه متفرقا ليسهل عليك حفظه فإنه كان أميا لا يقرأ الكتب، ولأنه لو كان دفعة

(١)- التفسير الميسر : صـ/٣٦٢-٣٦٣.
(٢)- بحر العلوم:٢/٥٣٧.

واحدة لم يتكرر نزول جبريل – عليه السلام– بالرسالة إليه في كل وقت وكل حين.

وكثرة نزوله كانت أوجب لسكون قلبه وكمال روحه ودوام أنسه، فجبريل كان يأتي في كل وقت بما كان يقتضيه ذلك الوقت من الكوائن والأمور الحادثة، وذلك أبلغ في كونه معجزة، وأبعد عن التهمة من أن يكون من جهة غيره، أو أن يكون بالاستعانة بمن سواه حاصلا. (١).

وبين الإمام ابن الجوزي– رحمه الله – المقصود بهذه الآيات، فقال: قوله– تعالى–: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾أي: كما أُنزلت التوراةُ والإنجيل والزَّبور، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي: أنزلناه كذلك متفرِّقاً، لأن معنى ما قالوا: لِمَ نُزِّل عليه متفرِّقاً؟ فقيل: إنما أنزلناه كذلك: ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ أي: لنُقَوِّي به قلبَك فتزداد بصيرة، وذلك أنه كان يأتيه الوحي في كل أمر وحادثة، فكان أقوى لقلبه وأنور لبصيرته وأبعد لاستيحاشه، ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ أي: أنزلناه على الترتيل، وهو التمكُّث الذي يُضادُّ العَجَلة.

قوله– تعالى–: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ ﴾ يعني: المشركين ﴿ بِمَثَلٍ ﴾يضربونه لك في مخاصمتك وإبطال أمرك ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالذي هو الحقّ لنردّ به كيده﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ من مَثَلهم. والتفسير: البيان والكشف. **قال مقاتل:** ثم أخبر بمستقرِّهم في الآخرة، فقال: ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ وذلك أن كفار مكة قالوا: إن محمداً وأصحابه شُرُّ خلق الله، فنزلت هذه الآية. قوله – تعالى–: ﴿ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا ﴾ أي: منزلاً ومصيراً ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ديناً وطريقاً من المؤمنين. (٢).

(١)– لطائف الإشارات:٢/٦٣٥.

(٢)– زاد المسير: ٣/٣٢٠.

ورحم الله الإمام الرازي إذ يقول عند تفسيره لهذه الآية: اعلم أن هذا هو الشبهة الخامسة لمنكري نبوة محمد-ﷺ- وأن أهل مكة قالوا: تزعم أنك رسول من عند الله أفلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة جملة على موسى والإنجيل على عيسى، والزبور على داود، وعن ابن جريج بين أوله وآخره اثنتان أو ثلاث وعشرون سنة، وأجاب الله بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ وبيان هذا الجواب من وجوه، **أحدها:** أنه- عليه السلام- لم يكن من أهل القراءة والكتابة فلو نزل عليه ذلك جملة واحدة كان لا يضبطه ولجاز عليه الغلط والسهو، وإنما نزلت التوراة جملة لأنها مكتوبة يقرأها موسى. **وثانيها:** أن من كان الكتاب عنده، فربما اعتمد على الكتاب وتساهل في الحفظ فالله- تعالى- ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة بل كان ينزل عليه وظيفة ليكون حفظه له أكمل فيكون أبعد له عن المساهلة وقلة التحصيل **وثالثها:** أنه- تعالى- لو أنزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق فكان يثقل عليهم ذلك، أما لما نزل مفرقا منجما لا جرم نزلت التكاليف قليلا قليلا فكان تحملها أسهل. **ورابعها:** أنه إذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته فكان أقوى على أداء ما حمل، وعلى الصبر على عوارض النبوة وعلى احتماله أذية قومه وعلى الجهاد. **وخامسها:** أنه لما تم شرط الإعجاز فيه مع كونه منجما ثبت كونه معجزا، فإنه لو كان ذلك في مقدور البشر لوجب أن يأتوا بمثله منجما مفرقا. **وسادسها:** كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم والوقائع الواقعة لهم فكانوا يزدادون بصيرة؛ لأن بسبب ذلك كان ينضم إلى الفصاحة الإخبار عن الغيوب. **وسابعها:** أن القرآن لما نزل منجما مفرقا وهو- عليه السلام- كان يتحداهم من أول الأمر فكأنه تحداهم بكل واحد من نجوم القرآن فلما عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكل أولى فبهذا الطريق ثبت في فؤاده أن القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة. **وثامنها:** أن السفارة بين الله- تعالى- وبين أنبيائه وتبليغ كلامه إلى الخلق منصب عظيم فيحتمل أن يقال: إنه- تعالى- لو أنزل القرآن على محمد

-ﷺ- دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل- عليه السلام- فلما أنزله مفرقا منجما بقي ذلك المنصب العالي عليه فلأجل ذلك جعله الله – سبحانه وتعالى- مفرقا منجما.

أما قوله: ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ففيه وجهان، **الأول**: أنه من تمام كلام المشركين، أي: جملة واحدة كذلك، أي: كالتوراة والإنجيل، وعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار في الآية وهو أن يقول: أنزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك. **الثاني**: أنه كلام الله- تعالى- ذكره جوابا لهم أي: كذلك أنزلناه مفرقا.

فإن قيل: ذلك في كذلك يجب أن يكون إشارة إلى شيء تقدمه والذي تقدم فهو إنزاله جملة واحدة ، فكيف فسر به كذلك أنزلناه مفرقا؟

قلنا: لأن قولهم ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾ معناه: لم نزل مفرقا، فذلك إشارة إليه.

أما قوله- تعالى-: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ فمعنى الترتيل في الكلام: أن يأتي بعضه على أثر بعض على تؤدة وتمهل. وأصل الترتيل: في الأسنان، وهو تفلجها، يقال: ثغر رتل، وهو ضد المتراص. (١).

وجملة ما سبق:

أن هذه الآيات تثبت الرسول-ﷺ- وتطمئن قلبه، وترد على هؤلاء المشركين المتعنتين الذين طلبوا هذا الطلب، وهو نزول القرآن جملة واحدة، وما كان قصدهم إلا التعنت والمكابرة والصد والإعراض عن دين الله – عز وجل- ولكن الله – سبحانه وتعالى- بين للنبي-ﷺ- الجواب الكافي وهو أن السبب الرئيس في إنزال القرآن منجما تقوية قلبك وتثبيت فؤادك، وهؤلاء كلما أتوا بشبهة باطلة رد الله عليهم بالحق المبين المدحض لشبههم،

(١)- التفسير الكبير: ٢٤/٤٥٧.

وهؤلاء يوم القيامة سيحشرون على وجوههم لأنهم شر مكانا ومنزلا وأضل طريقا وسبيلا.

فوائد من الآيات

هذه الآيات وإن كان المخاطب فيها الرسول-ﷺ- ولكنها أيضا تخبرنا بأن الله- عز وجل- أنزل القرآن مفرقا على النبي- صلى الله عليه وسلم- ليثبت فؤاده ويطمئن قلبه، وحتى يسهل حفظ القرآن على النبي-ﷺ- ومن تبعه من المؤمنين إلى يوم الدين... إلى غير ذلك من الحكم الجليلة التي من أجلها أنزل القرآن منجما على رسول الله-ﷺ-.

المطلب الرابع

الفوائد واللطائف المستنبطة من الآيات

من خلال ما تم عرضه يتبين لنا أن الآيات التي اشتمل البحث عليها يستنبط منها فوائد ولطائف جليلة منها ما يلي:

١- هذه الآيات تثبت النبي-ﷺ- وتطمئن قلبه.

٢- تدل الآيات على عظم مكانة النبي- صلى الله عليه وسلم- عند ربه- عز وجل- كما تدل على الإيذاءات الكثيرة التي تعرض لها-ﷺ-.

٣- الآيات زاد للدعاة إلى الله؛ لأن طريق الدعوة ينبغي أن يلتزم الداعي فيه بما يلي: أ- اتباع الوحي من قرآن وسنة.

ب- الصبر على المدعوين وتحمل الأذى.

جـ - الثقة في نصر الله، وتثبيته.

٤- توضح لنا الآيات أن الأجر على تبليغ الدعوة والصبر عليها لن يضيع عند الله؛ لأنه- تعالى- لا يضيع أجر المحسنين.

٥- الآيات تحث المسلمين على الصبر على الطاعة، وعلى الاستقامة، وإقامة الصلاة، واتباع السيئة بالحسنة، وتحث المسلمين على تحمل الأذى، وتحثهم على الصبر عن المعصية كالطغيان، والركون إلى الظالمين.

٦- ترشدنا الآيات إلى بعض الوسائل المعينة على الصبر، كالصلاة وذكر الله- تعالى- كالتسبيح؛ فيكثر المرء من التسبيح والتحميد والتقديس والسجود، ويدعو ربه في سجوده.

٧- الآيات تنظم العلاقة بين الإنسان وغيره من الناس، فتدعوه للصبر عند المخالطة، وإلى الهجر الجميل عند المفارقة.

٨- الآيات تحثنا على عدم الحزن والهم والغم، وتدعونا إلى الاقتداء بالسابقين من الأنبياء والمرسلين والصالحين، الذين تحملوا ما تحملوا من إيذاءات كثيرة؛ فنصرهم الله على أعدائهم، وكتب لهم الفلاح في الدنيا والآخرة.

٩- تحمل الآيات رايات البشرى لكل المؤمنين المتبعين لرسول الله-ﷺ- بنصر الله لهم وتأييديهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة؛ ما دامت النية خالصة لله -سبحانه- وتخبر بانتقام الله من أعداء الإسلام وأعداء النبي-ﷺ- وتطمئن الذين يبلغون دين الله ويجدون في طريقهم ناسا غير مخلصين منافقين أو غيرهم، ناسا يريدون إضعاف شوكة الإسلام وإطفاء نور هدايته. فالواجب على المؤمنين في مثل هذا الموقف إذا ما أدوا ما عليهم أن يتركوا الأمر لله؛ فهو ناصرهم على أعدائهم، ومثبت قلوب المؤمنين الموحدين على الحق المبين.

١٠ - الآيات تحث المؤمنين وتدعوهم إلى التوكل على الله في جميع أحوالهم؛ لأن الإنسان إذا أخذ بالأسباب في أمور الدين والدنيا وتوكل على الله، فالله كافيه ومؤيده وناصره.

هذه بعض الفوائد المستفادة من الآيات التي تضمنها البحث، فينبغي علينا أن نتحلى بالصبر اقتداءً برسولنا -ﷺ- ويجب علينا أن نعلم الوسائل الربانية التي تعيننا على الصبر في أمور حياتنا المختلفة، كالإخلاص في كل أمورنا، والتوكل على الله، والثقة في نصره، والقراءة في قصص السابقين الصالحين وسيرهم، والاقتداء بهم والتحلي بأخلاقهم، وأيضا نكثر من ذكر الله بكل ألفاظ الذكر المختلفة، كالتسبيح والتحميد والتقديس والتكبير والتهليل، والإكثار من الدعاء في كل وقت وحين، وخاصة أثناء السجود فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد لله رب العالمين.

خاتمة

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله –ﷺ– ورضي الله عن الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين، وعن الصحابة أجمعين الطيبين الطاهرين الذين اتبعوه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وارض اللهم عن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض اللهم عنا معهم بفضلك يا رب العالمين.

وبعد،،،

فهذا بحثي الذي شرفني الله – تعالى – فيه بجمع ودراسة الآيات القرآنية التي ثبتت فؤاد النبي–ﷺ– وحثته على الصبر وتحمل الأذى، ومن خلال البحث والدراسة حاولت الوقوف على بعض النتائج والتوصيات.

أولًا النتائج :

لقد توصل الباحث بهذه الدراسة إلى بعض النتائج، من أهمها :

١– العلاقة الوثيقة بين القرآن الكريم وتفسيره، والوقع المعاصر.

٢– القرآن الكريم نزل مفرقا لحكم كثيرة، أهمها: تثبيت قلب النبي– ﷺ–.

٣– القرآن الكريم مصلح لكل زمان ومكان، ففيه حلول كثيرة لمشاكل اجتماعية معاصرة.

٤– القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة متلازمان لا ينفكان، يفسر بعضهما الآخر.

٥– القرآن الكريم زاد للدعاة إلى الله تعالى فهو البصيرة التي ينبغي أن يكون على علم بها كل داع إلى الله –عز وجل–.

---

(١) – سورة البقرة : الآية (٥).

٦- القرآن الكريم وضح لنا الوسائل التي تعين المرء على الصبر، كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل وسائر ذكر الله – تعالى-.

٧- الصلاة والدعاء أثناء السجود من الأمور التي يثبُت بها قلب الإنسان ويسكن ويطمئن.

٨- قصص السابقين من الأنبياء والمرسلين والصالحين فيها الكثير من العبر والعظات التي يقتدي بها الأنسان في كل أمور حياته.

٩- صبر النبي -ﷺ- على الإيذاءات المختلفة التي تعرض لها، وعظم مكانته -ﷺ- عند ربه- عز وجل-.

١٠-القرآن الكريم فيه العلاج لكل الأمراض الروحية والنفسية التي يمر بها الإنسان، فمن قرأه وحفظه وعمل به نجاه الله من كل ضيق نفسي ومادي.

هذه بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي.

ثانيًا التوصيات :

يوصي الباحث بما يلي:

١- الاقتداء بالنبي -ﷺ- في كل شيء؛ ففي سيرته الأنموذج الأمثل للإنسان الذي ينبغي أن تقتدي به البشرية كلها، في عقيدته، في عباداته، في أخلاقه، في معاملاته، في كل شئون حياته-ﷺ-.

٢- ينبغي على الدعاة إلى الله، والدارسين في كتاب الله وسنة رسول الله -ﷺ- أن يخلصوا النية لله- تعالى- فمن أخلصها له – سبحانه- فاز في الدنيا والآخرة.

٣- يجب على الباحثين في الدراسات القرآنية قبل الإقدام على هذا الأمر أن يتقنوا اللغة العربية بفروعها؛ لما في ذلك من النفع الكثير الذي ينبغي أن يُحَصَّل.

٤- أصبح من الواجبات على المنشغلين بالدراسات الإسلامية أن يكونوا على دراية وافية بالتقنيات الحديثة؛ لكي ينتفعوا بها في الدعوة إلى الله.

٥- يجب على الباحثين في العلوم الإسلامية والدعاة إلى الله – تعالى- أن يربطوا دائما في كتبهم وأبحاثهم وخطبهم بين التراث الإسلامي والواقع

المعاصر، ويقدموا الحلول المناسبة للمشاكل المعاصرة – بدون تبديل ولا تغيير ولا تحريف للنصوص الشرعية–؛ حتى لا يكون العلماء في واد، والناس في واد آخر.

وبعد : فقد أحسن العماد الأصبهاني– رحمه الله– إذ قال: " ما كتب إنسان كتابا في يومه، إلّا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر" (١).

فقد حاولت في هذا البحث أن أُوفيّ كل جزئية حقها، ولا أدعي أني أتيت بما لم تستطعه الأوائل، كما أنني لا أدعي لعملي هذا العصمة أو الكمال، وإنما قصدت إلى حسن الجمع والترتيب والعرض، واجتهدت في الوصول إلى الصواب، ومجانبة الخطأ قدر استطاعتي، فإن كنت قد أصبت فمن الله – تعالى – وله الفضل والمنة، وإن كنت قد أخطأت فأسأل الله – عز وجل– أن يقيل العثرات، ويستر العورات، كما أسأله– تعالى – أن يلهمني الصواب والرشد في القول والعمل، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه– تعالى – وأن يرزقني عليه الثواب والأجر، وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وأن ينفع به كل من يقرأه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢).

(١)– ينظر: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة :٥/٢، والغريب المصنف :٢٧٠/١.
(٢) – سورة الصافات : الآيات (١٨٠–١٨٢).

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم جل من أنزله.
٢- الإتقان في علوم القرآن/ للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم.
٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل / للإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ ، ت/ محمد عبد الرحمن المرعشلي.
٥- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ للشيخ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري- ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية – الطبعة: الخامسة١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٦- البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه وكتابته وطباعته ومناقشته/ للدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن علي الربيعة- الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الطبعة الثالثة- ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٧- البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه النظرية رؤية إسلامية/ للأستاذ الدكتور سعد الدين السيد صالح- ط: مكتبة الصحابة- جدة- ومكتبة التابعين القاهرة، الطبعة الثانية- ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٨- بحر العلوم/ للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، و ط: دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان

، الطبعة الأولى– ١٤١٣ هـ –١٩٩٣م– تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور: زكريا عبد المجيد النوتي.

٩– البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ للإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) ، ط: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة– ت : أحمد عبد الله القرشي رسلان.

١٠– البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة / للشيخ عبد الفتاح بن عبد الغني ابن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ) ، ط/ دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

١١– البرهان في علوم القرآن/ للإمام أبى عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (المتوفى٧٩٤هـ) – ط/ دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م)، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٢– التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»/ للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، ط/ الدار التونسية للنشر – تونس – سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٣– تفسير الجلالين/ للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) والإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ط: دار الحديث – القاهرة– الطبعة: الأولى.

١٤– التفسير الحديث / للإمام دروزة محمد عزت ، ط/ دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، الطبعة: ١٣٨٣ هـ .

١٥– تفسير القرآن / للإمام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء

(المتوفى: ٦٦٠هـ) ، ط: دار ابن حزم – بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ت: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي.

١٦- تفسير القرآن العظيم / للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع – الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م – ت/سامي ابن محمد سلامة.

١٧- التفسير القرآني للقرآن/ للشيخ عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) ، ط: دار الفكر العربي – القاهرة .

١٨- تفسير القرآن/ للإمام أبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) ، ط: دار الوطن، الرياض – السعودية –الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم.

١٩- تفسير المراغي / للإمام أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ط/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦م.

٢٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج – للدكتور/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط : دار الفكر المعاصر – دمشق – الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ .

٢١- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه/ لأحمد بن عبد الله الزهراني، صـ:١٢، ط: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٢- التفسير الميسر/ لنخبة من أساتذة التفسير، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية– الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م.

٢٣- تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل/ للإمام أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) ، ط: دار

الكلم الطيب، بيروت–الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو.

٢٤– التفسير الواضح/ للشيخ الحجازي، محمد محمود ، ط/ دار الجيل الجديد – بيروت ،الطبعة: العاشرة – ١٤١٣ هـ.

٢٥– التفسير الوسيط للقرآن الكريم / لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى.

٢٦– التفسير الوسيط للقرآن الكريم/ للدكتور: محمد سيد طنطاوي، ط/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ،الطبعة: الأولى.

٢٧– جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ للإمام ابن جرير الطبري (المتوفى ٣١٠هـ) ، ط/مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ، ت / أحمد محمد شاكر، و ط: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان– الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م– ت: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة.

٢٨– الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله– صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه (صحيح البخاري) / للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي(المتوفى: ٢٥٦هـ) ، ط/ دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ ، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر .

٢٩– جمال القراء وكمال الإقراء/ للإمام علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبي الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، ط: دار المأمون للتراث – دمشق – بيروت– الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م– ت: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة.

٣٠ – الجواهر الحسان في تفسير القرآن/ للإمام أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، ط : دار إحياء التراث

العربي – بيروت– الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ– ت: الشيخ محمد علي معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود.
٣١– دراسات في علوم القرآن/ للشيخ محمد بكر إسماعيل (المتوفى: ١٤٢٦هـ)، ط: دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.
٣٢– روائع البيان تفسير آيات الأحكام/ للشيخ محمد علي الصابوني، طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي– ط: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت– الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.
٣٣– روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ للإمام شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ت: علي عبد الباري عطية.
٣٤– زاد المسير في علم التفسير/ للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ، ت/ عبد الرزاق المهدي.
٣٥– السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير/ للإمام شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) ط/ مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرة ، عام النشر: ١٢٨٥ هـ .
٣٦– سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ) ، ط/المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط/ دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، ت/ شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي.
٣٧– السنن الكبرى/ للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، ط / مؤسسة الرسالة – بيروت ،الطبعة : الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي ،أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٣٨- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية/ للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، ١/٢٤٤-٢٤٥،ط: دار العلم للملايين – بيروت- الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.- ت: أحمد عبد الغفور عطار.
٣٩- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة / للشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني – ط: دار القلم – دمشق – ت: حسين مؤنس ، الطبعة الرابعة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٤٠- العبودية/ للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ط : المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م - ت : محمد زهير الشاويش.
٤١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري/ للإمام أبى محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ) ، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٤٢- غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني/ للإمام: أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (المتوفى: ٨٩٣هـ) من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس- دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو (رسالة دكتوراه)- ط: جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية – تركيا- عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م
٤٣- الغريب المصنف / للإمام أبى عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، ط/ مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ت/ صفوان عدنان داوودي.
٤٤- فتح الرحمن في تفسير القرآن/ للإمام القاضي مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي ، المولود سنة (٨٦٠ هـ)، والمتوفي سنة(٩٢٧هـ) – من إصدارات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية- إدارة الشئون الإسلامية- دولة قطر- ط: دار النوادر - سوريا (دمشق) – لبنان – (بيروت)- الطبعة الأولى- ١٤٣٠ هـ-٢٠٠٩ م- اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب.

٤٥- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير/ للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)،ط/ دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

٤٦- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)/ للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: ٧٤٣ هـ)، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم- الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، القسم الدراسي: د. جميل بني عطا، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د. محمد عبد الرحيم سلطان العلماء.

٤٧- قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم / للفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني ، ط: دار العلم للملايين - بيروت - لبنان - حققه ورتبه وأكمله وأصلحه : عبد العزيز سيد الأهل، و ط: دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان- تقديم وتحقيق: عربي عبد الحميد علي

٤٨- القاموس المحيط: للإمام / مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، ط: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان- الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥- ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة- بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي.

٤٩- الكامل في التاريخ / لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، ١/ ٢٣٢-٢٣٣. بتصرف يسير. ط: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م- ت: عمر عبد السلام تدمري.

٥٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل / للإمام أبى القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، ط/ دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ .

٥١- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ للإمام أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبي البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، ط : مؤسسة الرسالة – بيروت، ت: عدنان درويش – محمد المصري.

٥٢- لباب التأويل في معاني التنزيل/ للإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) ، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ ت/ تصحيح محمد علي شاهين.

٥٣- لطائف الإشارات = تفسير القشيري/ للإمام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: ٤٦٥هـ)، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة، ت/إبراهيم البسيوني.

٥٤- مباحث في التفسير الموضوعي/ للدكتور مصطفى مسلم، ط: دار القلم، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٥٥- مباحث في علوم القرآن/ للشيخ: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع- الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٥٦- المبسوط في القراءات العشر/ للإمام أبى بكر أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوري (المتوفى: ٣٨١هـ)، ط/ مجمع اللغة العربية – دمشق ،عام النشر: ١٩٨١ م ، ت/ سبيع حمزة حاكيمي .

٥٧- محاسن التأويل / للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ ، ت/ محمد باسل عيون السود.

٥٨- مختار الصحاح/ للإمام زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: بعد ٦٦٦هـ) ، ط/ المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة- ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ت/ يوسف الشيخ محمد.
٥٩ – المدخل إلى التفسير الموضوعي/ للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، ط: دار التوزيع والنشر الإسلامية.
٦٠- المدخل لدراسة القرآن الكريم/ للشيخ محمد بن محمد بن سويلم أبي شُهبة (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، ط : مكتبه السنة – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٦١- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز/ للإمام أبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى : ٦٦٥هـ) ، ط : دار صادر – بيروت- سنة النشر ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م- ت : طيار آلتي قولاج.
٦٢- المستدرك على الصحيحين /للإمام أبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ) ، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠، ت/ مصطفى عبد القادر عطا.
٦٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل/ للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) ، ط/ مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م، ت/ شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط: دار الحديث – القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م- ت: أحمد محمد شاكر.
٦٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت ، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي .

٦٥- معالم التنزيل في تفسير القرآن/ للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، ت / عبد الرزاق المهدي .

٦٦- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)/ للدكتور محمد حسن حسن جبل،١/٢٣٠، ط: مكتبة الآداب – القاهرة– الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.

٦٧- المعجم الكبير / للإمام أبى القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (المتوفى: ٣٦٠هـ) ، ط/ مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية ، ت/ حمدي بن عبد المجيد السلفي .

٦٨- معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)/ للعلامة أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، ط: دار مكتبة الحياة – بيروت.

٦٩- المغرب في ترتيب المعرب/ للإمام ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبي الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ (المتوفى: ٦١٠هـ)، ط: دار الكتاب العربي.

٧٠- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير/ للإمام أبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) ، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

٧١- مناهل العرفان في علوم القرآن / للإمام محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) ، ط/مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة: الثالثة.

٧٢- المنتخب في تفسير القرآن الكريم/ لجنة من علماء الأزهر– ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام – الطبعة: الثامنة عشر، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .

٧٣- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة/ للإمام المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبي علي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، عام النشر: ١٣٩١ هـ ، ت/ عبود الشالجي المحامي.

٧٤- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه/ للإمام أبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م- ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي.

٧٥- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، ط: دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، ت: صفوان عدنان داوودي .